زيارة السلطنة بروناي الإسلامية

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين ، وعليه نعتمد ونتوكل .

أما بعـــــد :

فإن سلطنة بروناي إحدى سلطنات بلاد الملايو القديمة التي كانت منتشرة فيما يسمى الآن بماليزيا وسنغافورة وجنوب تايلند بل وحتى جنوب الفلبين . وكانت تربطها معاهدة حماية ببريطانيا منذ عام ١٩٠٦ م مثل أكثر السلطنات الصغيرة لكونها كانت لا تستطيع لصغرها في ذلك الوقت أن تدافع عن نفسها الدول الأقوى مثلها في ذلك مثل حال الإمارات والمشيخات العربية في الخليج وجنوب الجزيرة العربية في الماضي .

وعندما استقلت ماليزيا في عام ١٩٦٣ م كانت هذه السلطنة سلطنة بروناي قد اكتشف فيها النفط وكانت بعض السلطنات الأخرى فقيرة الموارد ولكنها أنشأت اتحاد ماليزيا أما سلطنة بروناي فقد تمسكت بموقفها التي هي عليه وعدم الدخول في اتحاد ماليزيا .

واستمرت بروناي منذ ذلك الوقت سلطنة (ملايوية) من حيث اللغة والدين والثقافة بل والعنصر تمامًا مثلما أن دولة البحرين إمارة عربية لا تختلف في شيء جوهري عن بقية الأقطار العربية في الجزيرة إلا أن بروناي لم تطلب إلغاء معاهدة الحماية التي تعطي بريطانيا حق القيام بإدارة الشئون الخارجية والدفاع .

ولكن عصر الأستعمار الذي كان يفرض الحماية على الشعوب قد ولى واستقلت البلاد المستعمَرة حتى تلك التي ليست لها مقومات الاستقلال لصغر أرضها ، أو لضعف امكاناتها الاقتصادية ، أو لقلة سكانها . وبعضها أصغر من بروناي أرضًا وأقل في عدد السكان مثل جزر سيشل وبعض الجزر في المحيط الهاديء فضلاً عن الإمكانات الاقتصادية الكبيرة في بروناي .

ولذلك فقد تقرر أن تستقل بروناي التي تملك من مقومات الاستقلال ما لا تملكه أقطار أخرى كثيرة مستقلة بل قديمة الاستقلال وحدد لذلك الموعد آخر عام ١٩٨٣ م .

ولكون بروناي محافظة قليلة الاخلاط من السكان غير المسلمين فقد تمسكت بكثير من الأمور الإسلامية الحميدة التي أفلتت من بعض جاراتها المسلمة.

ولذلك عزمت على أن تمضي في الأخذ بالدين الإسلامي إلى مدى أبعد وذلك بتطبيق الشريعة الإسلامية في الأحكام بما في ذلك الجنايات .

وقد اتصلت بالسفارة السعودية في سنغافورة مبدية رغبتها في أن تحصل على المزيد من المعرفة بهذا الموضوع من المملكة العربية السعودية أكبر الدول التي تنفذ أحكام الشريعة الإسلامية وأشهرها في هذا الأمر.

فكان لابد من أن تلبي المملكة العربية السعودية هذا الطلب بل إنها تسعى إليه لأن هدفها هو تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع الأقطار الإسلامية بل العمل على نشر الدين الإسلامي في جميع أقطار المعمورة فكان أن رفعت وزارة الخارجية هذا الأمر إلى مقام رئاسة مجلس الوزراء وصدر الأمر السامي بتلبية احتياج الشقيقة المسلمة بروناي بما تراه .

ورأت حكومة بروناي أن يبدأ الأمر بزيارة وفد سعودي إلى تلك السلطنة يجتمع بأولي الأمر فيها ويتباحث معهم في الأشياء التي تهمهم ويوضح لهم ما يمكن للمملكة العربية السعودية أن تقدمه ـ وهي تستطيع أن تقدم الكثير ولله الحمد ـ فكان أن تألف الوفد كما يلي :

الشيخ أحمد بن علي المبارك السفير في وزارة الخارجية ورئيس الشئون الإسلامية فيها

محمد بن ناصر العبودي الأمين العام للدعوة الإسلامية (كاتب هذه السطور).

الشيخ علي محمد مختار الأمين العام المساعد لشئون المساجد في رابطة العالم الإسلامي .

وقبل سفر الوفد كان رئيس وزراء سلطنة بروناي الحاج عبد العزيز بن عمر قد زار مكة المكرمة في منتصف ربيع الأول هذا العام معتمرًا فاجتمعنا به هناك وبحثنا بعض

الأمور المتعلقة بعمل الوفد ومنها موعد السفر وتم الاتفاق على ذلك .

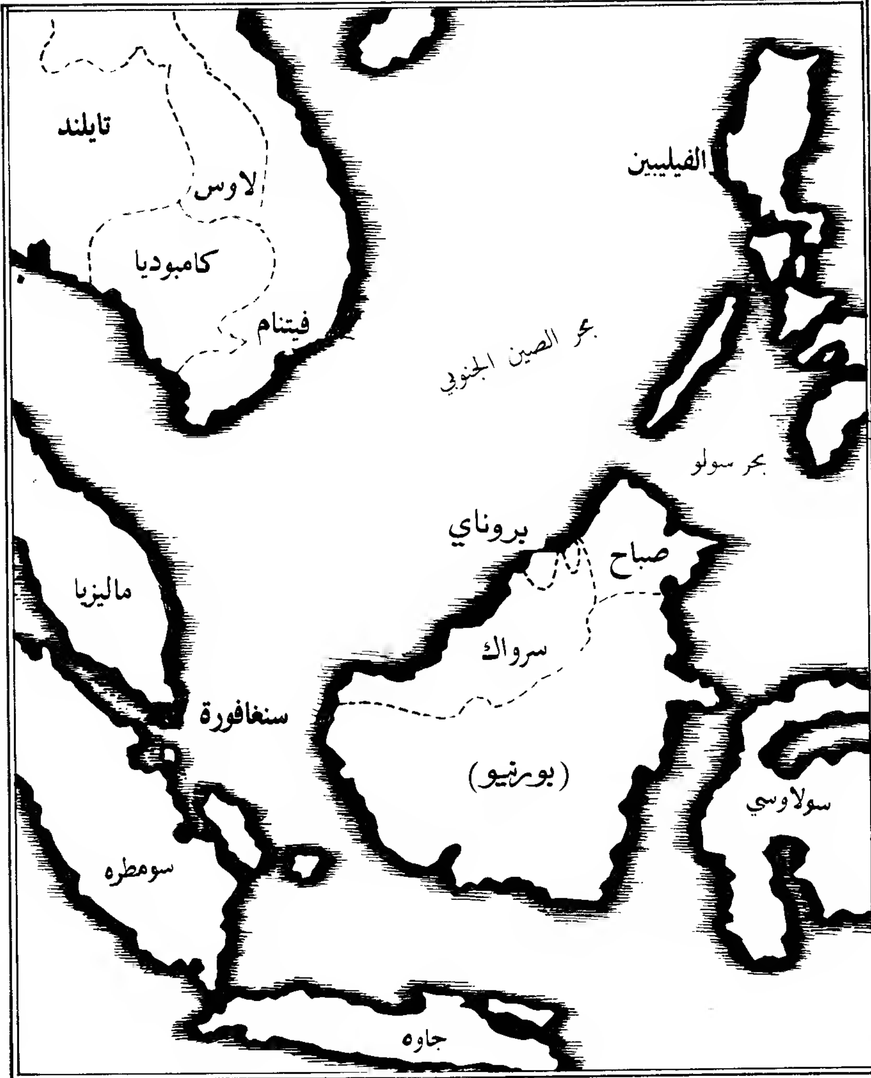
وقد سرت في هذا الكتاب على الطريقة التي سرت عليها في كتبي في الرحلات وهي تسجيل المشاهدات والوقائع في مذكرات يومية مع كتابة فصل مختصر عن البلاد التي أزورها يوضح بعض المعلومات المتعلقة بها وقد جعلتها هنا في أول الكتاب . والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب .

المؤلف

الرياض ١٥ شعبان ١٤٠٣ هـ　　　　محمد بن ناصر العبودي

معلومات عن بروناي

سلطنة بروناي



بروناي هي في جزيرة بورنيو في جنوبي شرقي آسيا

الموقع والمساحة :

تقع بروناي في الغرب الشمالي من جزيرة بورنيو الكبيرة التي هي شمال جاوة وجنوب غرب جزر الفلبين .

وموقعها في الشمال الغربي من ماليزيا وتحيط بها ولاية سرواك الماليزية من حدودها الجنوبية والشرقية أما حدود بروناي من الجهة الشمالية الغربية فهي بحر الصين الجنوبي مما هيأ لها وضعًا جغرافيًا جيدًا وتبلغ مساحتها ٢٢٢٦ ميلاً مربعًا أو ٥٧٦٥ كيلو متر مربع ـ وتقع بين خطي عرض ٤َ, ٢ْ و ٥َ,٣ْ شمال خط الاستواء .

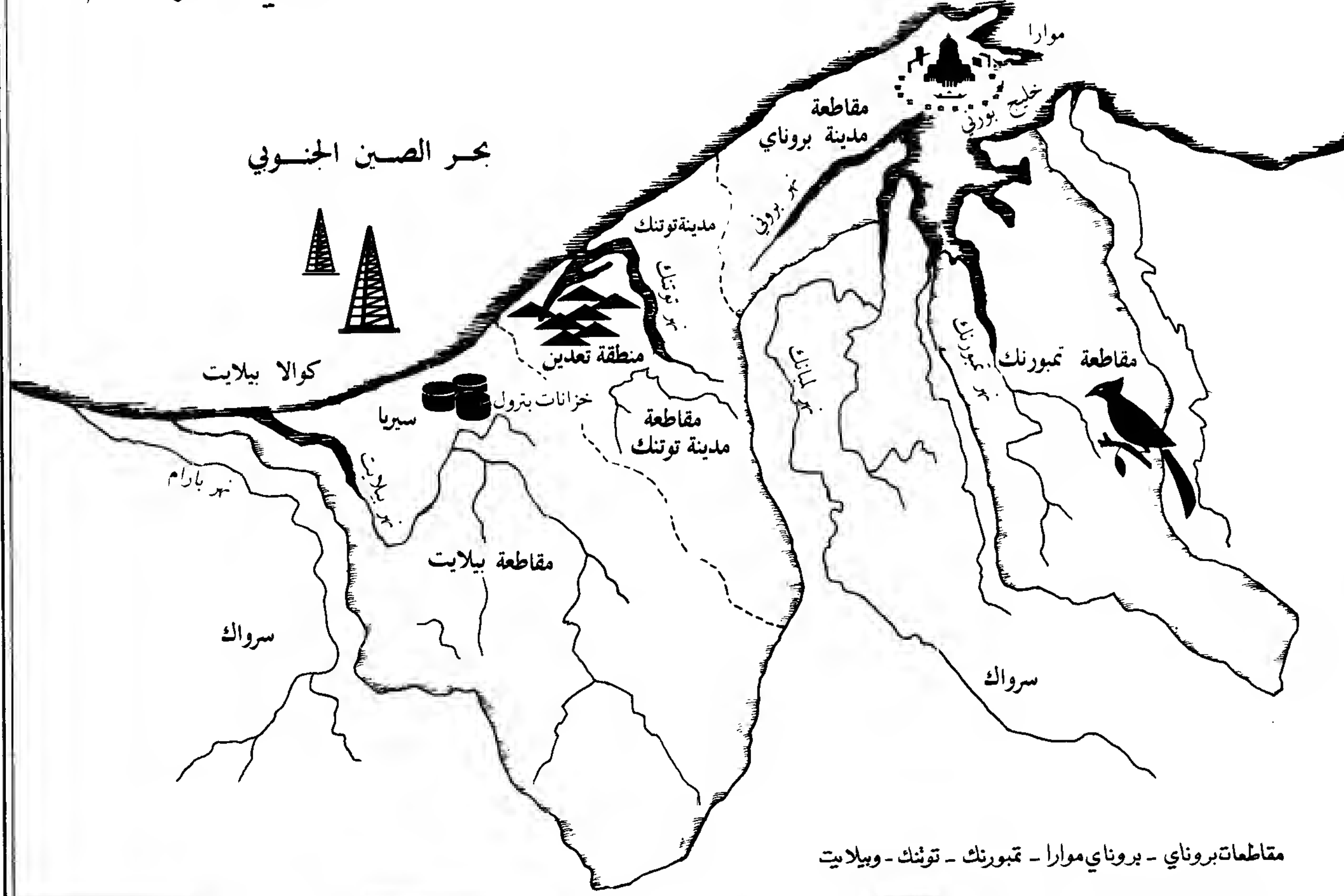
وجو بروناي استوائي يقتضي أن يكون حارًا بل شديد الحرارة غير أن كثرة الأمطار ووقوع البلاد بالقرب من بحار كبيرة مثل بحر الصين الجنوبي جعل درجة الحرارة لا ترتفع فيها كثيرًا إذ قل أن تتعدى ٣٠ درجة مئوية ومع ذلك فإن الإحساس بالحر يكون شديدًا في الصيف حيث تقل الأمطار وخفيفاً حيث تسقط الأمطار ويشعر الناس أن ذلك هو فصل الشتاء وليس فيها فصول أربعة كالتي تكون عندنا وعند أهل البلاد البعيدة عن خط الاستواء ولكن الرطوبة في الجو عالية طول العام والمعدل السنوي لسقوط المطر هو مائة بوصة على الشريط الساحلي الذي يبلغ عرضه عشرين ميلاً وهو الذي يعيش فيه أغلب السكان .

أما في الغابات الداخلية وهي غابات استوائية فإن معدل سقوط الأمطار يصل إلى ٣٠٠ بوصة في العادة .

السكان والمدن المهمة :

يبلغ عدد سكان السلطنة حوالي مائتي ألف نسمة (طبقًا لاحدث إحصاء جرى في عام ١٩٨٠ م) وأغلبهم مسلمون (٨٢ ٪ تقريبًا) وعاصمتها تعرف

(ببندر سري بقاون) وتنقسم الدولة إلى أربع مقاطعات وهي : مقاطعة بروناي موارا ومقاطعة بلأيت ومقاطعة توتونج ومقاطعة تمبورزنج وفي مقاطعة بلأيت توجد مدينة سريا مقر صناعة البترول للدولة وهو أهم منتجات السلطنة ولها منتجات أخرى مثل الغاز الطبيعي والمنتجات الزراعية والأخشاب والمطاط وغيرها .


بروناي : (دارالسلام)
بحر الصين الجنوبي
موارا
خليج بورني
مقاطعة
مدينة بروناي
نهر بروني
مدينةتوتنك
نهر توتنك
منطقة تعدين
كوالا بيلايت
خزانات بترول
سيريا
مقاطعة
مدينة توتنك
نهر بارام
نهر بيلايت
مقاطعة بيلايت
سرواك
نهر ليمبانك
نهر تمبورنك
مقاطعة تمبورنك
سرواك
مقاطعات بروناي - بروناي موارا - تمبورنك - توتنك - وبيلايت

لمحة من تاريخ بروناي :

بروناي : واحدة من أقدم الممالك في جنوب شرقي آسيا ويقال : إنها نشأت أول ما نشأت في القرن الثامن الميلادي (الثاني الهجري). وقد دخل الإسلام إلى بروناي في أوائل القرن الخامس عشر وفي زمن إمبراطورية (ماجايهيت) عن طريق سلطنة ملقى، بل إن الاكتشافات الحديثة تشير إلى دخول الإسلام إلى بروناي في القرن الثالث عشر عن طريق التجار المسلمين من منطقة الشرق الأوسط .

وكانت في وقت من الأوقات مجرد إمارة خاضعة لإمبراطورية ماجايهيت .

ومع إنهيار إمبراطورية (ماجايهيت) أصبح سلاطين بورنيو والجزر المجاورة حكامًا مستقلين . ومع بداية القرن الخامس عشر الميلادي كانت بروناي أقوى الممالك الإسلامية على جزيرة بورنيو .

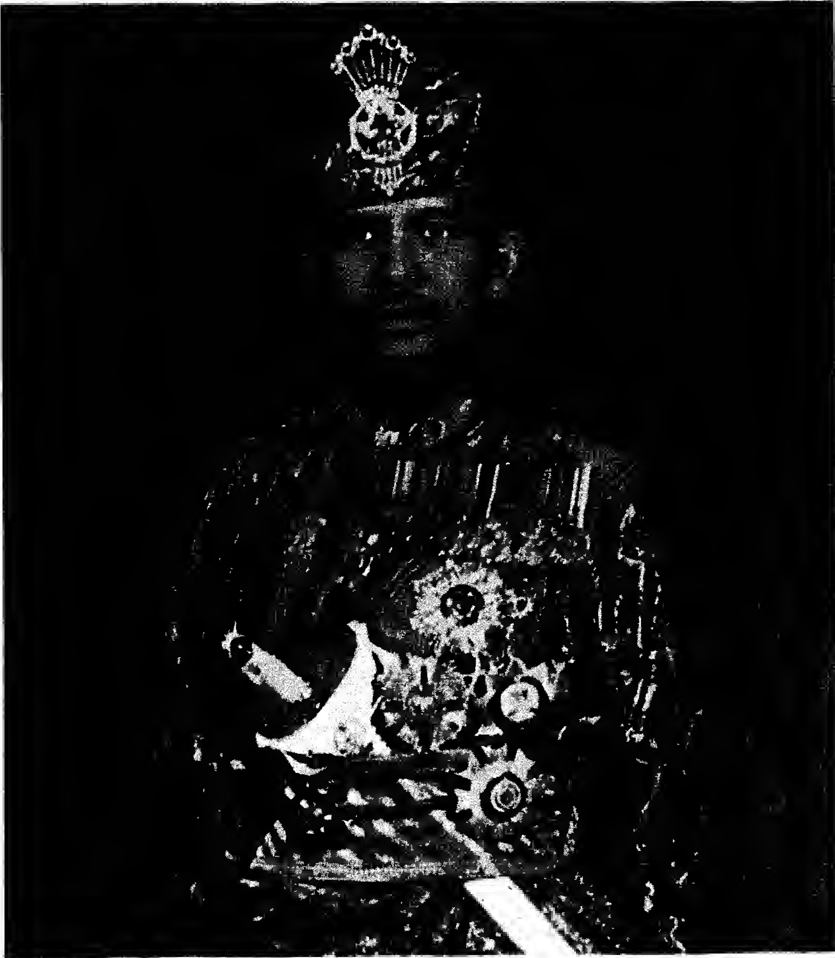
وفي زمن الحكم الإسلامي وصلت بروناي إلى أوج قوتها أثناء القرن السادس عشر تحت حكم واحد من أعظم السلاطين في تاريخها هو السلطان بلقيه الذي تنحدر من نسله الأسرة الحاكمة الآن . فقد قام بعدد من الغزوات بأسطوله إلى (جاوا) وملقى كما حقق فتوحات ليس في جزيرة بورنيو فقط ولكن كذلك في الفلبين .

ثم جاء عهد الاستعمار وأبدى الانكليز اهتمامًا بجزيرة بورنيو. وفي عام ١٨٣٨ م وصل المستكشف الانكليزي جيمس بroوك سراواك ومنذ ذلك الوقت وقعت السلطنة تحت ضغوط من نظام برووك الاستعماري في الجنوب للحصول على مزيد من الأرض ونتج عن هذه الضغوط السيطرة على ليمبانغ عام ١٨٩٠ م فانشطرت بروناي إلى جزئين وانحصرت بين شركة شمال بورنيو على حدودها الشمالية الشرقية ودولة برووك على حدودها الجنوبية الغربية وتقلصت مساحة بروناي السلطنة التي كانت من قبل قوية إلى ما لا يزيد كثيرًا

عن ألفي ميل مربع هي مساحتها اليوم .

نظام الحكم :

نظام الحكم في بروناي نظام سلطاني وراثي أقرب ما يكون إلى النظام الملكي الوراثي المعروف . وهو نظام عريق إذ المعروف أن السلطان الحالي الذي هو (حسن بلقيه) هو السلطان التاسع والعشرون في سلسلة السلاطين المعروفين أي أنه قد سبقه ثمانية وعشرون سلطاناً في حكم بروناي .



السلطان الحالي حسن البلقيه سلطان بروناي بالملابس الرسمية

واسمه الرسمي مع الألقاب : جلالة السلطان سرمودا حسن البلقيه معز الدين والدولة بن سمو الأمير دولي يفترامه مليا فدوك سري بقاون سلطان سرمودا عمر علي سيف الدين سعد الخير والدين .

واسمه واسم أبيه دون القاب (حسن بن عمر علي البلقيه) ولكن كثرة الألقاب هي العادة المتبعة في بروناي . ولا تكون هذه مستغربة على سلطان ووالده إذا عرفنا أن بعض رجال الدولة فضلاً عن الوزراء يحملون القاباً متعددة كما سيمر بنا ذكر ألقاب الشيخ محمد زين رئيس الشئون الدينية وأن لمساعده الشيخ يحيى سبعة ألقاب .

وكثرة الألقاب والرتب في دولة كثيرًا ما تعني أنها دولة عريقة لأن الأواخر فيها يضيفون إلى ما يضعه الأوائل من الألقاب ألقابًا أخرى عندما تصبح الأولى مألوفة ، أو غير كافية .

وضبط اسم الأسرة السلطانية الحاكمة هو بلقيه بضم الباء واسكان اللام ثم قاف مكسورة فياء مفتوحة فهاء .

وعندما سمعت هذا الاسم تبادر إلى ذهني أنه اسم عربي قديم حرف تحريفًا طبيعيًا وانه ربما كان اصله بلفقيه وهو اسم أسرة مشهورة في حضرموت والحجاز وحتى لو لم يكن من اسم تلك الأسرة فإن القياس أن يكون عربيًا لأن بني الفلان كثيراً ما تخفف فتكون بلفلان حتى في الأعلام التي أصبحت من الأماكن مثل (بلحمر وبلسمر) في منطقة عسير في المملكة العربية السعودية.

ولكنني سألت قومًا من المهتمين بهذا الأمر قائلاً : هل السلطان من أصل عربي ؟ وهل لبلقيه علاقة بالاسم العربي (بلفقيه) لا سيا إذا عرفنا أن بلاد الملايو كلها كانت من مهاجر الحضرميين على مدى العصور ؟

فأجابوا بالنفي وقالوا : إننا لم نتيقن بطريقة علمية من أصل الأسرة ولكن

الشائع عندنا أن كلمة بلقيه اصلها (بلخي) فيكون أصل هذه الأسرة على هذا التخريج من بلخ وبلخ معروفة واقعة الآن في أفغانستان .

وظني أن هذا من باب التخمين وأن الموضوع لايزال يحتاج إلى بحث علمي وبخاصة أن تحريف كلمة بلفقيه إلى بلقيه أقرب من تحريفها إلى بلخي .

وقد وافق على هذا الرأي الباحث البروناوي شقيق رئيس وزراء بروناي الذي قال : إنه مهتم لهذا البحث ، بل إنه مستعد للتفرغ لذلك حتى إنه مستعد للسفر إلى أي بلاد قد يجد فيها ما يفيد في هذا الموضوع ومن ذلك أنه ربما يسافر إلى تركيا في نطاق ذلك البحث .

وبروناي ظلت دولة مستقلة حتى مجيء المد الاستعماري الغربي الذي عقد معاهدات حماية طواعية ، أو غير طواعية مع كثير من البلدان المستقلة ومنها بروناي .

في عهد السلطان هاشم في عام ١٩٠٦ م وافق السلطان على عقد معاهدة حماية مع بريطانيا وعلى قبول المقيم البريطاني فيها بموجب اتفاقية عقدت بينه وبين حكومة بريطانيا .

واستمر وجود المقيم البريطاني حتى الآن ومن المقرر أن ينتهي ذلك بصفة رسمية في أول العام الميلادي القادم ١٩٨٤ م حيث تنال البلاد استقلالها في ذلك الوقت وتقام فيها الاحتفالات بهذه المناسبة بعد ذلك بشهر أي في شهر فبراير من العام نفسه .

وقد قرروا اتباع هذا الأسلوب حتى يستقبل المسئولون فيها ضيوفهم والبلاد من الناحية القانونية مستقلة فعلاً .

وقد كانت بروناي عقدت معاهدة مع بريطانيا في عام ١٩٧١ م تنص على أن تتولى بريطانيا مسئولية الشئون الخارجية والأمن وذلك بعد أن شعرت

بروناي أنها ربما تتعرض للضم من قبل إحدى جاراتها طمعًا في ثروتها النفطية كما قيل ، إلّا أنها أمنت ذلك وعقدت مع بريطانيا معاهدة في عام ١٩٧٩ م وافقت فيها الحكومة البريطانية على منح الاستقلال الكامل لبروناي في أواخر عام ١٩٨٣م ثم اختير اليوم الأول من ١٩٨٤م موعدًا للاستقلال كما تقدم .

والسلطان حسب الدستور القائم يكون رئيسًا للدولة كما يكون رئيسًا لشئون الدين الإسلامي ، ويقوم رئيس المجلس الإسلامي أو رئيس مصلحة الشئون الدينية بتنفيذ أوامر صاحب الجلالة في الأمور الدينية وهو في الواقع المسئول الأول عن جيمع الشئون المتعلقة بالدين الإسلامي للدولة إدارية كانت أو قانونية أو غيرها .

تنصيب السلطان :

ينص الدستور على أنه لا ينصب على عرش السلطنة إلا ذَكرٌ من نسل سلطاني صحيح متدين بالإسلام .

المناصب الإدارية العليا :

وأعلى المناصب الإدارية العليا في السلطنة تكون حاليًا في يد «منتري بسر» رئيس الوزراء ونائبه ثم الأمين العام للدولة ولا يجوز قانونيًا أن يتولى هذه المناصب العليا إلا من كان من الأبناء الملايويين المسلمين التابعين لمذهب الشافعي وأهل السنة والجماعة .

المنحى السياسي :

تسير البلاد في النواحي السياسية سيرًا هادئًا متزنًا ، والعلاقات السياسية بين الحكومة والشعب قائمة على المحبة والتقدير ، كما أن علاقة حكومة بروناي بجيرانها ممتازة رغم ما يقال عن مطامع مستترة عند بعض جيرانها على أن الحكم على علاقتها مع جيرانها في المستقبل سابق لأوانه حيث أن شئون الدفاع

والخارجية لاتزال مرتبطة ببريطانيا ذلك الارتباط الذي سوف يرفع في آخر شهر ديسمبر القادم ١٩٨٣ م. ومما نلاحظه أنه ليس للحركات الهدامة وجود في بروناي ولكن هذا لم يحمل الحكومة على التهاون والإهمال بل إنها يقظة وتتحسب لكل الاحتمالات .

ويبدو أن هذا الإتزان في العلاقات السياسية والاستقرار يرجع إلى حكمة والد السلطان الأمير عمر علي سيف الدين الذي كان سلطانًا ثم تنازل لابنه حسن السلطان الحالي وهو الآن يقضي بقية عمره في تدريب السلطان (حسن) على مواجهة أعباء الحكم وهذه في ذاتها تكفي للدلالة على سعة عقله وبعد نظره وهذا ما انطبع في أذهاننا عنه خلال المحادثة عند السلام عليه وما سمعناه من عقلاء القوم . أما السلطان الحالي حسن بلقيه فإن الدلائل تشير إلى أنه سيواصل السياسة الحكيمة الحازمة التي سار عليها والده .

النواحي الدينيـــة :

أما النواحي الدينية الإسلامية فإنها متقدمة في بروناي وكان تقدمها أول ما أثار انتباه أعضاء وفدنا فقد وجد الوفد الروح الإسلامية متغلغلة في وجدان الشعب والحكومة بشكل ملفت للنظر فالمساجد تبنى في كل مكان بسخاء حتى أن (الأستاد) الرياضي الجديد سيبنى في أركانه الثلاثة أماكن للصلاة مع أنه منطقة خلوية كما أن المدارس والمصالح الحكومية وقصور الضيافة لابد أن يكون بجانب كل منها مسجد أو مصلى .

ثم إن الحكومة قد أعلنت في دستورها أنها دولة دينها الإسلام ولكنها تسمح للديانات الأخرى أن تمارس شعائرها غير أنها لا تسمح لهذه الديانات أن تنشر دينها بين المسلمين وغيرهم .

ومما يدل على يقظة الحكومة وتخطيطها لرفع مستوى الإسلام أنها قد تنبهت منذ مدة طويلة إلى ضرورة إعداد العلماء في الدين واللغة العربية والأئمة

إعدادًا كافيًا فأرسلت البعوث إلى الأزهر حتى أصبح لديها أكثر من ٥٠ أستاذًا قد حصلوا على شهادات عالية من الأزهر ولذلك وجدنا أكثر الذين يشغلون مناصب دينية قد تخرجوا من الأزهر وبعضهم يرسل بعد إكمال دراسته الدينية والعربية في الأزهر إلى بريطانيا لإكمال ما يحتاج إليه من العلوم العصرية باللغة الإنكليزية .

ويقول كثير ممن التقينا بهم : إن السلطان المتنازل والسلطان الحالي وأفراد الأسرة الحاكمة هم متدينون ويوجهون البلاد هذا الاتجاه . وكذلك رئيس الوزراء الحالي الحاج عبد العزيز . ولذلك فإن بروناي هي إحدى البلدان الإسلامية المتمسكة بالإسلام إلا أنها غير معروفة تمامًا لجمهور القراء في البلدان العربية وحتى الذين يعرفونها عن طريق القراءة إنما عرفوا عنها أنها من بلاد الملايو وأنها في جزيرة تنتج النفط وتصدره وأنها بهذا من الدول القليلة التي تصدر النفط في منطقة جنوب شرق آسيا . وبعضهم لا يعرف أنها من بلاد الملايو أو ربما يذهب ظنه إلى أنها تنتمي لشعب آخر .

ولو سأل سائل عن إندونيسيا لسارع سامعه بالقول : إنها دولة إسلامية بل ربما قال : إنها أكبر دولة إسلامية وهذا صحيح من ناحية ، فاندونيسيا أكبر دولة تضم المسلمين من ناحية عددية .

ولكن الدولة نفسها لا تقول عن نفسها إنها إسلامية . ولقد سمعت بنفسي الرئيس سوهارتو رئيس الجمهورية وهو يخطب في مؤتمر الإعلام الإسلامي الذي انعقد في جاكرتا عام ١٤٠٠ هـ يقول إننا لسنا دولة دينية ، ولكن حكومتنا تهتم بالإسلام من واقع كون ٨٥ ٪ من سكانها من المسلمين .

أما بروناى فإنها دولة إسلامية قولاً وعملاً باصطلاح تسميات الناس للدول الإسلامية في هذه الأزمان . وهي تعلن أن دينها هو الإسلام بل إنها تفعل أشياء كثيرة من هذا المنطلق من آخرها تحريم تقديم الخمر على طائرات

خطوط بروناي لأن الإسلام لا يجيز ذلك .

ومنها حرص الحكومة على تثقيف الشعب ثقافة إسلامية خالصة كما ستأتي شواهد على ذلك من فتح المعاهد الدينية وإقامة المساجد والاعتناء بها حتى في الأماكن النائية .

دخول الإسلام إلى بروناي :

لم يكن المخلصون الأوائل من الدعاة إلى الله والعاملين على نشر الإسلام بالحجة والاقناع يهتمون بتاريخ قيامهم بعملهم ولا كانوا حتى يتظاهرون بذلك فضلاً عن أن يكونوا يتفاخرون بكثرة من هداهم الله إلى الإسلام على أيديهم . ذلك بأنهم يعتقدون أن الدعوة إلى الله وهداية الناس إلى ذلك واجب مفروض عليهم لا يريدون من ورائه جزاءا ولا شكورا من الناس وإنما جزاؤهم وثوابهم من الله سبحانه وتعالى .

والجزاء الإلّهي في كتاب عند الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها . ويجده العامل حاضرًا عند الله لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

لذلك خفى أمر دخول الإسلام لأول مرة في كثير من البلدان التي لم يفتحها المسلمون عنوة أي عن طريق الفتح بالقتال .

ومن ذلك (بروناي) هذه غير أن الناس إذا التمسوا الحقيقة في أمر قديم فلم يعثروا عليها فإنهم كثيرًا ما يلجأون إلى قصة لذلك الأمر قد يكون لها ظل ولو باهتًا من الحقيقة وقد تكون ضربًا من الخيال .

والشائع عندهم أن الإسلام وصل إلى بروناي أثناء القرن الثاني عشر الميلادي (السابع الهجري) وأنه دخل على يد رجل عربي من الأشراف اسمه علي العربي ولعل كلمة العربي هذه ليست اسمه العائلي وإنما أضيفت إليه لكونه من بلاد العرب وأن قدومه كان من الطائف بالقرب من مكة المكرمة .

وذكروا أنه كان قد وفد على ملك بروناي في ذلك الوقت فاستقبله الملك استقبالاً حسنًا . وأنه بسببه انتشر الإسلام انتشارًا واسعًا في هذه البلاد في مدة قصيرة وقد ارتضاه دينًا حاكمُ البلاد وأكثر أهلها فأصبحت بروناي قطرًا إسلاميًا منذ ذلك الوقت .

إن كون البلاد أصبحت إسلامية بأكثر سكانها الذين منهم حكامها على يد رجل واحد في مدة قصيرة هو أمر غير معروف في طبيعة انتشار الأديان التي منها الدين الإسلامي الحنيف .

وبخاصة في حالة بروناي التي لايزال بعض سكانها الذين يعيشون في الغابات والاحراش غير مسلمين بل هم من الذين يعتبرون وثنيين ، أو هم على غير دين إلاَّ ما وجدوا عليه آباءهم الأولين .

إلاَّ أن هذه النقطة بالذات قد يرد عليها أنه ربما كان سكان الأحراش والغابات الذين لم يصبحوا مسلمين حتى الآن جاءوا إلى بروناي في عصور حديثة من أنحاء جزيرة (بورنيو) الكبيرة المجاورة التي تحفل بالغابات والأحراش الواسعة ولايزال كثير من سكانها كذلك .

على أن التاريخ قد سجل أحداثًا قليلة أسلم فيها أهل البلاد مع حاكمهم دفعة واحدة ، أو في مدة قصيرة ومنها إسلام أهالي جزر (مالديف) ولكن إسلامهم كان نتيجة حادثة معينة . وقد ذكرت ذلك مفصلاً في كتاب (رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا) .

وأيًّا كان الأمر فإن الذي أعتقده أن الإسلام دخل إلى بروناي كما دخل إلى غيرها من بلاد الملايو بالتدريج وعلى مر السنين وإن الذي حدث على يد الشريف علي العربي الذي جاء إليها من الطائف ـ إن كان قد حدث ذلك فعلاً ـ إنما هو إسلام حاكمها الذي يتبعه في العادة إسلام طائفة من اتباعه و(الناس على دين ملوكهم) كما قيل .



شاهد أحد القبور مؤرخ في عام ١٤١٨هـ
عثر عليه في مقبرة إسلامية في منطقة العاصمة

وإلَّا فإنه من المعروف أن الإسلام دخل إلى بلاد الملايو قبل ذلك بوقت مبكر وبخاصة ما هو معروف عن سلطنة آشي في شمال إندونيسيا بالقرب من مضيق ملقى الذي كانت تمر به السفن العربية المسافرة ما بين الشرق الأقصى (الصين وما قرب منها) وبين الموانيء العربية الإسلامية في الخليج وبخاصة مينائي البصرة وسيراف .

على أنه قد اكتشف حديثًا ما يعزز هذا الرأي من وجود شواهد قبور من قبور المسلمين عليه كتابات عربية من القرن الخامس الهجري . ومن ذلك هذه

الصورة التي وجدتها في نشرة صادرة عن حكومة بروناي ومكتوب عليها إنها شاهد قبر الأميرة إبنة السلطان عبد المجيد بن محمد شاه وتقول النشرة : إن هذه الكتابة مؤرخة في عام ٤٤٠ هـ الموافق ١٠٤٨ م وأنه وجد في مقبرة إسلامية في منطقة عاصمة بروناي (بندر سري بقاون) .



شاهد مقبرة قديمة

وهو نص مهم جدًا من الناحية التاريخية ويدل على قدم الحكم الإسلامي في بروناي . إذا كان على ظاهره بأن السلطان عبد المجيد محمد شاه كان يحكم في بروناي وكانت ابنته فيها . على أنه لا يقلل من أهميته افتراض أن بروناي كانت في ذلك التاريخ جزءًا من إمبراطورية إسلامية في ملقى مثلاً ، أو في آشي شمال اندونيسيا أو في غيرها من بلاد الملايو فالذي يهمنا هو معرفة دخول الإسلام إلى هذا الجزء من جزيرة (بورنيو) الكبيرة المسمى بروناي وزادنا هذا النقش علمًا بأن هناك من الأسر الحاكمة من كانوا فيه من المسلمين .

وأيًّا كان الأمر فإن الافتراض الذي كان مُسلَمًّا به من قبل وهو أن يكون الإسلام دخل إلى بروناي من طريق الغرب من الهند أو نحوه فضلاً عن القصة الشائعة التي تقول : إن الإسلام دخل إلى هذه البلاد على يد رجل عربي من الطائف التي تدل إن صحت على انتشار الإسلام في بروناي لا على دخوله إليها في رأينا . إن ذلك الأفتراض هو الذي يتبادر إلى الذهن لأن جهة الغرب هي جهة امتداد الإسلام من الحرمين الشريفين ، ومن مراكز المسلمين في جنوب الهند وشمال سومطرة في اندونيسيا و(ملقى). وبخاصة تلك الأماكن التي كان يطلق عليها اسم (جاوة) وكان فيها ممالك وسلطانات إسلامية قديمة زار ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري إحداها واجتمع بسلطانها المسلم .

غير أن هناك افتراضًا يقول : ربما كان الإسلام دخل إلى (بروناي) أيضًا عن طريق الشرق منطلقًا من المراكز التجارية للمسلمين في الصين والساحل الشرقي لشبه جزيرة الملايو .

واعتقد أن هذا افتراض لا دليل عليه مع وجود الأدلة والقرائن والحالات المماثلة في بلاد الملايو على دخول الإسلام عن طريق التجار والدعاة إلى الله من العرب والملايويين الذين أسلم على أيديهم أكثر أهل إندونيسيا وماليزيا والفلبين في الأوقات القديمة .

ويستدل على ذلك الرأي أيضًا بقبور اكتشفت حديثًا في أماكن من بروناي لبعض العرب فضلاً عن المسلمين الآخرين من أهل البلاد وذلك في مقابر المسلمين في (بندر سري بقاون) وغيرها وهي ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادي .

وفيما يتعلق بانتشار الإسلام في البلاد فإنه يفترض أن الدين الإسلامي وصل إلى العاصمة والأماكن القريبة من البحر في زمن قديم ثم انتشر في داخل البلاد على مراحل نظرًا لطبيعة البلاد الإستوائية من وجود الغابات والوحوش والمخاطر الأخرى .

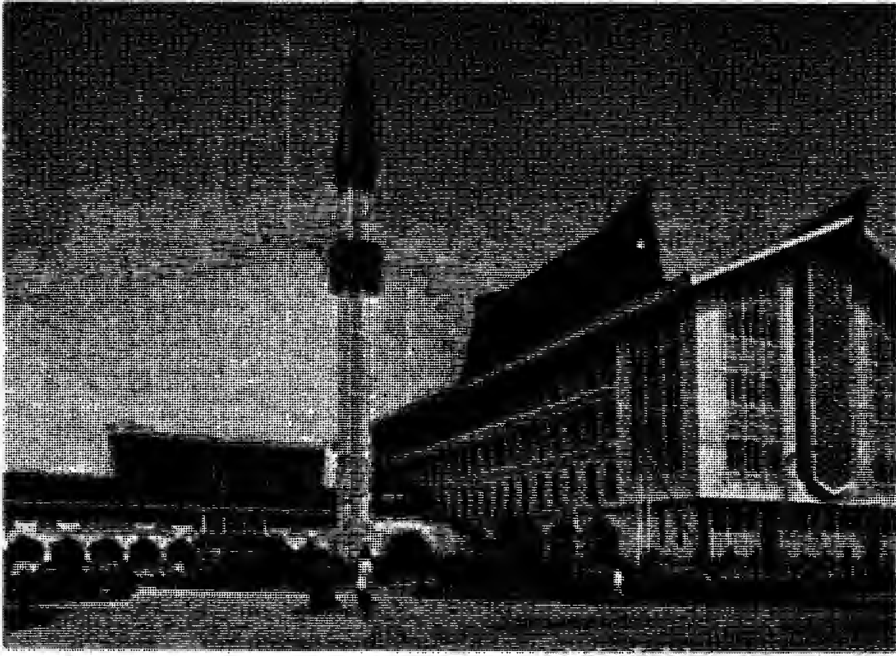
ولذلك يفترض أن وصول الإسلام إلى هذه المناطق الداخلية كان عن طريق المهتدين من أهل البلاد كما حدث في العصور المتأخرة حتى إنه يعرف أن منطقة تيمبوزنغ قد دخلها الإسلام قبل ثلاثمائة سنة فقط على أيدي رجال سلطان مسلم من الملايو اسمه السلطان كمال الدين الذي زار تلك الناحية في عام ١٧٠٠ م تقريبًا والله أعلم .

المذهب الشائع :

المذهب الفقهي الشائع في بروناي هو المذهب الشافعي مثلها في ذلك مثل سائر بلاد الملايو بل إن الدستور الرسمي الذي نص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام نص على أن الإسلام على مذهب أهل السنة والجماعة وأن سلطان بروناي يجب أن يكون مسلمًا من أهل السنة على مذهب الإمام الشافعي .
وهنالك دوائر حكومية تهتم بنواحي التعليم والتربية الإسلامية منها :

مصلحة الشئون الدينية :

إن إدارة الشئون الدينية هي من أهم الإدارات الحكومية ذات نفوذ وذات صوت مسموع ويرأسها رئيس إدارة الشئون الدينية وهو برتبة وزير ،



مبنى مصلحة الشئون الدينية بمنارته الرشيقة وقبته المذهبة

ولها وكيل عام وتضم المفتي ورئيس القضاء وغيرهم من الموظفين الكبار .

ولإدارة الشئون الدينية أقسام أهمها :

قسم المحاكم الشرعية وقسم الافتاء ، وقسم التعليم الديني ـ وقسم الزكاة ـ وقسم الدعوة والإرشاد ـ وقسم شئون الحجاج . ولكل قسم دوره المعين في تسيير الشئون الدينية وشئون المسلمين في السلطنة .

وعلى سبيل المثال فإن المحكمة الشرعية تتولى تنفيذ العقوبات على مرتكب الزنا وشارب الخمر والمفطر في رمضان جهارًا إلى غير ذلك ؛ ومن واجباتها أيضًا الإشراف على جميع المساجد وتعيين أئمتها وموظفيها .

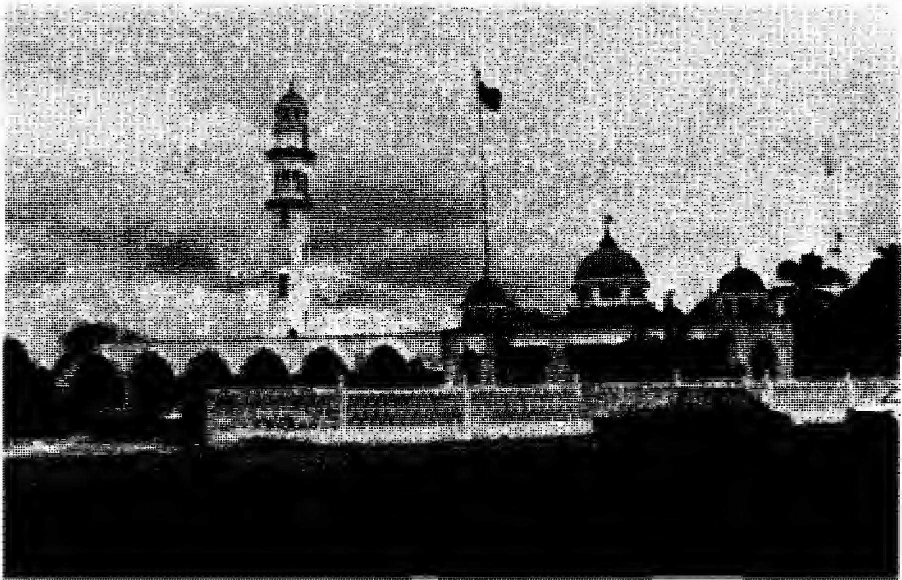
ويتولى قسم الدعوة والإرشاد نشر الدعوة الإسلامية بالوسائل المختلفة كإقامة المجالس الدينية والمحاضرات العلمية في الاجتماعات الكبيرة عن طريق الإذاعة والتلفزة . وإلى جانب ذلك يصدر هذا القسم كتبًا ومجلات شهرية أو

دورية ويشترك في تحريرها وإعداد موادها الخبراء الدينيون المحليون من خريجي الأزهر وغيرهم ومنها مجلة (الهدى) التي تصدر كل ثلاثة أشهر .

ومن أهم الكتب المطبوعة حتى الآن التفسير المسمى (تفسير دار السلام) وقد بدأ إصداره عام ١٩٧١ م وتم طبع ما يشتمل على تفسير أول القرآن إلى سورة البراءة .

كذلك بالنسبة لقسم التعليم الديني فقد أنشأته الإدارة الدينية وكلفته الإشراف على عدد من المدارس الدينية والعربية التي توجد في أنحاء البلاد في المدن والقرى .

وبالإضافة إلى المدارس الدينية والعربية فهناك كلية لمعلمي المواد الدينية تهدف إلى إعداد مدرسين دينيين محليين مؤهلين مدربين . وهذا كله مما تقوم به الحكومة من خطوات نحو منهج التعليم والتربية الإسلامية في جميع مراحل التعليم الابتدائية والثانوية لابناء البلاد من جميع الطبقات .



مسجد جامع سريا منطقة بلأيت

ويتولى قسم الزكاة (بيت المال) شئون جمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها . ومن واجب هذا القسم أيضًا حل مشكلات المسلمين في شئون الميراث والزوجات المتوفى عنهن أزواجهن أو المطلقات ومساعدة المصابين بالكوارث الطبيعية أو الحريق ، وما شابه ذلك . إلى جانب العناية بمقابر المسلمين كما يقوم بالإشراف على تجهيز الموتى من المسلمين .

وقسم الافتاء يرأسه المفتي ويختص هذا القسم بإصدار الفتاوى الشرعية لعامة الناس أو الحكومة ويرأس هذا القسم عالم ذو مكانة ومقدرة علمية والسلطان نفسه هو الذي يتولى تعيين المفتي في منصبه .

الأديان الأخــرى :

يتضح مما سبق ذكره أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة ويبلغ عدد المسلمين ٨٢ ٪ تقريبًا من السكان ومع ذلك فقد سمحت الحكومة لغير المسلمين كالمسيحيين والبوذيين بحرية ممارسة شعائر دينهم ما داموا خاضعين لقانون الدولة التي هي سلطنة بروناي الإسلامية ، ولا تمنعهم الحكومة إلّا من نشر عقائدهم لغيرهم مسلمًا كان أو غير مسلم فلا يجوز لهم أن ينشروا أديانهم في بروناي .

ولا يوجد في البلاد أتباع للعقائد المنحرفة مثل البهائية والقاديانية والحركات المدسوسة كالماسونية وقد كانت هناك محاولات في الماضي من قلة ضئيلة من الناس لنشر مثل تلك العقائد الضالة ولكن الحكومة كانت تبادر بالقضاء على تلك المحاولات قضاء مبرمًا بواسطة الدوائر الحكومية والمسئولين وعلى رأس تلك الدوائر التي أُنيط بها العمل على مكافحة المذاهب الضالة والمنحرفة مصلحة الشئون الدينية .

أما نسبة أهل الأديان الأخرى فتبلغ ١٨ ٪ أكثرهم المسيحيون والبوذيون فالوثنيون ثم قلة من الهنود الذين يدينون بالهندوكية .

وتعنى إدارة الشئون الدينية بنشر الدعوة والتعاليم الإسلامية في أوساط المجتمع الإسلامي وتهتم أيضًا بدعوة الكفار إلى الإسلام لا سيما الذين يعيشون في الغابات . ويقوم بالدعوة المختصون من الدعاة فيذهبون إلى مساكنهم وأحيانًا يسلكون الغابات مشيًا على الأقدام ويدعونهم إلى الإسلام وذلك بالمحادثة والمحاورة معهم وايضاح محاسن الإسلام لهم ومعاملتهم بالحسنى . ويبلغ عدد الذين اعتنقوا الإسلام من عام ١٩٧١م حتى نهاية عام ١٩٧٨م ١٤٤١ نسمة ثم ترعاهم بالتعليم وتدبير شئون حياتهم .

وهناك منظمات أخرى في بروناي تتألف من جمعية أو اتحاد وأهمها : الجمعية الاتحادية الإسلامية التي انشئت منذ الحرب العالمية الثانية وقامت بدور هام في نشر الدعوة الإسلامية .

أما الجمعيات الأخرى فهي بمثابة جمعيات اجتماعية وشبابية . وأكبر هذه الجمعيات هي المجلس الأعلى لشباب بروناى وهذا المجلس هو الذي يشرف على الجمعيات الشبابية الأخرى .

مجلس الشباب الوطني في بروناي :

وهو منظمة أهلية تهتم بنشر الدعوة الإسلامية بين الشبان وتعمل جاهدة في دعوة المسلمين للتمسك بالإسلام وتدعو غير المسلمين للدخول في الإسلام وتعمل على تجميع الشباب على أساس الإسلام وترعى مجالات نشاطات الشباب الرياضية والثقافية والاقتصادية والتعاون على البر والتقوى وعمل الخير . ومجلس الشباب هذا عضو في اتحاد الشباب الآسيوي واتحاد الشباب العالمي ، وعضو في الندوة العالمية للشباب المسلم التي توجد أمانتها العامة في الرياض .

ومن الملاحظ أن مجلس الشباب وإن كان منظمة أهلية فإنها تعمل تحت

رقابة ورعاية الحكومة وقادتها من موظفي الدولة الذين يشغلون مناصب هامة فيها .

هذا وقد شكلت الحكومة في مصلحة الشئون الدينية أيضًا قسمًا خاصًا لمراقبة المطبوعات المستوردة من خارج البلاد منها المطبوعات الدينية وقد نجح هذا القسم في منع الكتب والمجلات أو الدوريات أو ما يشابهها التي تحتوي على الضلال والفساد والخلاعة في الأمور الدينية والدنيوية .

وحتى بالنسبة إلى الأمور التي لا تتعلق بالعقائد وإنما بالأطعمة ونحوها فإن هناك خطوات عديدة حميدة نحوها ومن ذلك أن أرسلت الحكومة بعض الموظفين الكبار إلى الدول المصدرة للحوم المجمدة مثل استراليا والدانيمارك للمراقبة والتحقيق فيما إذا كانت اللحوم التي استوردتها قد ذبحت على طريقة شرعية .

وابتداء من عام ١٩٨٢ م فقد قامت الحكومة بتحريم تقديم الخمور لركاب الطائرات في شركة طيران (بروناي) الملكية . وتسعى الحكومة حاليًا في مراقبة جميع المطاعم في الدولة حتى تكون جميع الأطعمة المقدمة فيها حلالاً وإذا عجز أي مطعم من اتباع القيود التي فرضتها الحكومة عليه ليكون مطعمًا إسلاميًا فعلى صاحبه وضع لافتة يكتب عليها «طعام لغير المسلمين» .

التعليم الديني :

يقوم قسم التعليم الديني في مصلحة الشئون الدينية بالإشراف على التعليم الإسلامي لجميع تلامذة المدارس في المدن والقرى . وتدرس المواد الدينية في المدارس الملايوية والانكليزية إلى جانب المواد العامة وهي المواد الأساسية للحصول على الشهادة الإعدادية أو الشهادة الثانوية المتوسطة أو الشهادة الثانوية العامة .



مدرسة (محمد بلقيه) الدينية في منطقة تمبورو

وفي مدرستين عربيتين تدرس المواد الدينية باللغة العربية بجانب المواد الأكاديمية كالعلوم والجغرافيا والحساب والتاريخ وغيرها التي تدرس باللغة الوطنية الملايوية وكذلك تدرس فيها اللغة الانكليزية . وتستمر الدراسة في هاتين المدرستين سبع سنوات بحيث يعقد الامتحان لتلامذتها والناجح منهم يستطيع مواصلة دراسته في المدرسة الثانوية العامة بالعاصمة ثم إذا اجتازها يبتعث إلى الجامعات في الخارج .

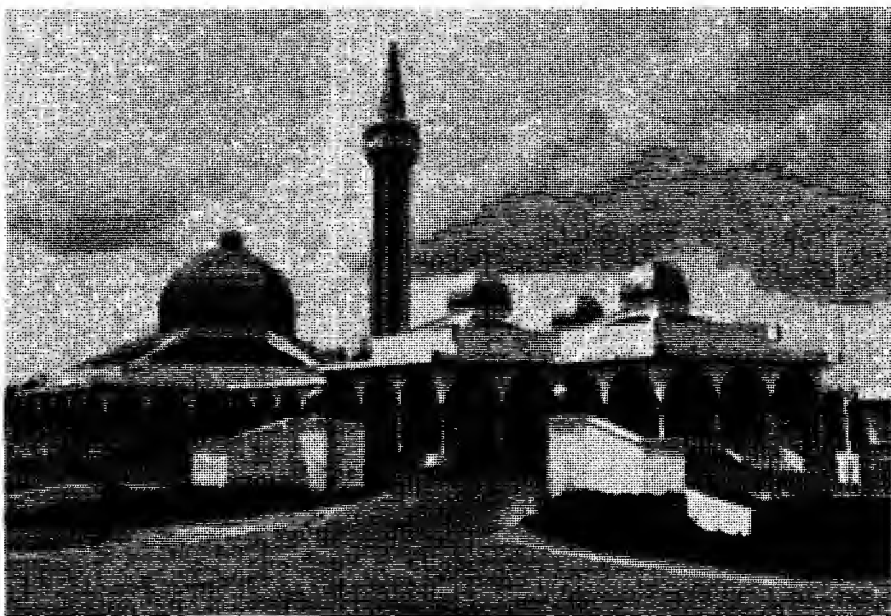


المدرسة الدينية في منطقة موارا

أما بالنسبة لمن ينجح في الشهادة الدراسية الدينية فإنه يواصل دراسته في مدرسة الجنيد الإسلامية في سنغافورة لمدة ثلاث سنوات تمهيدًا لابتعاثه إلي جامعة الأزهر لينال الشهادة العالية والعالمية .

ومن أجل تحقيق هدف نشر التعليم الديني في بروناي فقد اقيمت كلية للمعلمين لتخريج المدرسين المتخصصين في التعليم الديني وقد زرنا هذه الكلية وتفقدنا أقسامها وطلابها من الجنسين بل إن عدد البنات فيها حوالي الثلثين . والمتخرجون من هذه الكلية مؤهلون للتدريس في المدارس الإعدادية والثانوية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

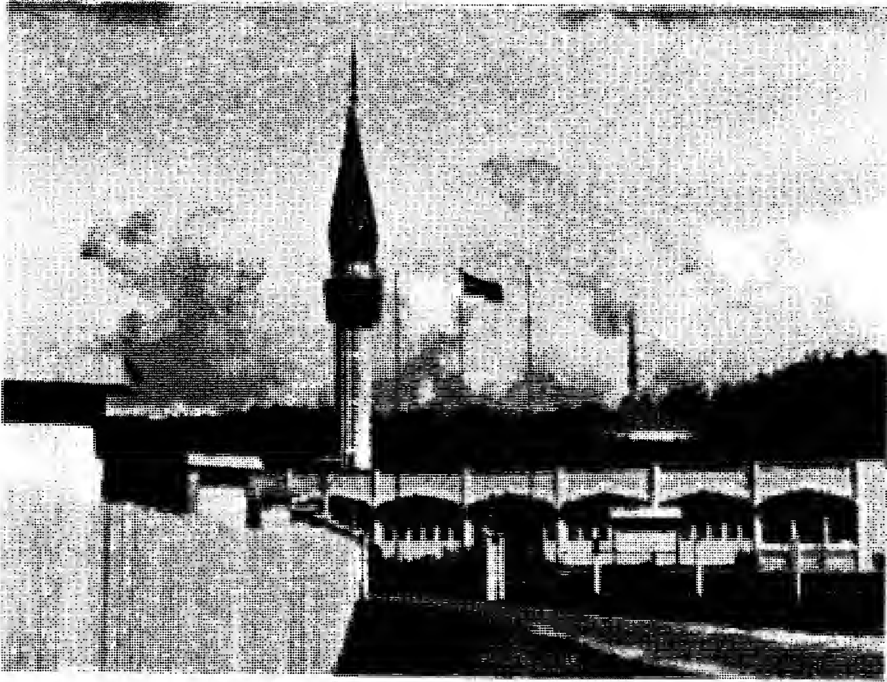
وقد بلغ عدد المتخرجين من الأزهر الشريف من مراحل الدراسة العالية والعليا ما يقرب من خمسين خريجًا وهؤلاء كلهم من المبعوثين الحكوميين الذين تولوا بعد عودتهم إلى بروناي مناصب هامة في الدولة أكثرها من المناصب التي تتفق مع دراستهم وبعضها في وظائف إدارية أخرى هامة .



مسجد محمد بلقيه منطقة موارا

العناية بالمساجد في بروناي :

نظراً لأن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة ومعتنقوه أكثر من ٨٠٪ فقد أقامت الحكومة المساجد في جميع أنحاء البلاد بحيث تم إلى آخر عام ١٩٨٢ م حوالي ٦٥ مسجداً من المساجد التي بنيت على منهج هندسي جديد وطراز



مسجد «محمد صالح» في منطقة (تمبورو)

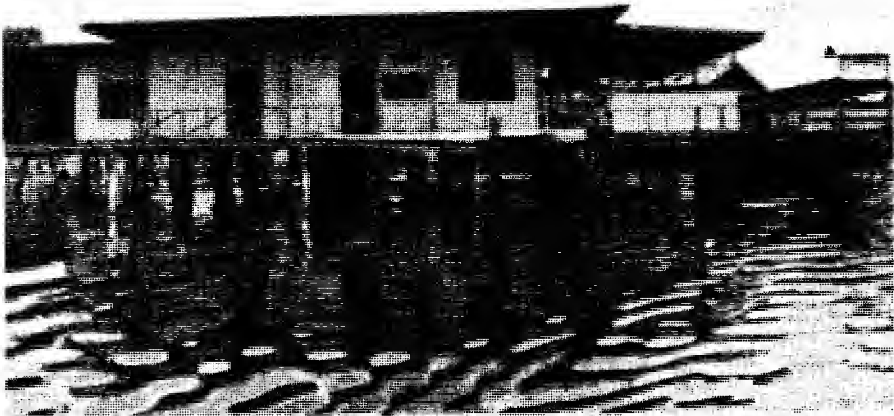
حديث وهي مزودة بما تحتاج إليه من المرافق والخدمات كما أن للمساجد أئمة ومؤذنين وخطباء بحسب ما يحتاجه المسجد وأهمية موقعه وكثرة المصلين فيه، ولهم الرواتب الشهرية والمعاشات.

وترغيباً لأئمة المساجد فإن الحكومة عملت على رفع مكانتهم بإعطاء منح مالية لأداء فريضة الحج لمن لم يؤد هذه الفريضة منهم.



مسجد «سينا علي» في منطقة موارا

ولكل مسجد لجنة تتألف من أهل محلته المصلين فيه وتكون مهمتها رعاية مصلحة الجماعة والمسجد. وبعض المساجد تبنى على الماء لأنها لأهل القرى المقامة على الماء كما في هذه الصورة وكما سيأتي.

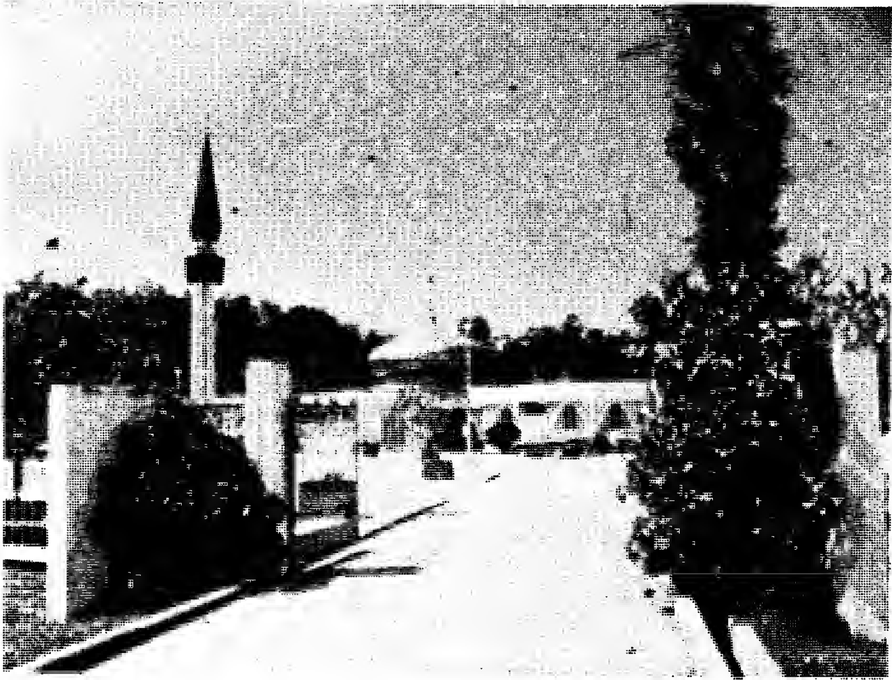


مسجد قرية باقومار في منطقة بروني موارا

إعداد الدعاة المؤهلين:

للقيام بمهمة التوجيه والإرشاد الديني والإشراف على مصالح المساجد ونشاطها لا بد من العناية بتأهيل الأئمة والخطباء والمؤذنين ليؤدوا واجبهم في التوجيه والإرشاد.

ذكر لنا المسئولون في الشئون الدينية أنه يجب أن يكون الإمام أو الخطيب من أهل العلم والخلق الكريم والسلوك المستقيم حتى يقتدي الناس به ويحبوه لأن منصب الإمام والخطيب هو من أجلِّ المناصب وأهمها. وإلى جانب إعداد الإمام نفسياً فإنه لا بد من أن يرتدي لباساً خاصاً مناسباً لمنصبه.



مسجد حسن البلقيه في منطقة (توتو)

الحـج :

يكثر أهل (بروناي) من الحج إذ يبلغ معدل الحجاج (البروناويين) في السنين الأخيرة ألفي حاج في السنة وهذه نسبة عالية بل تعتبر من أكثر النسب في

العالم لأن ذلك يعني نسبة ١ ٪ ويمكن أن نتصور مقدار كثرتها إذا ذكرنا أنها تساوي ما لو حج من إندونيسيا أو الهند مليون حاج لأن عدد المسلمين في إندونيسيا أكثر من مائة مليون وعددهم في الهند لا يقل كثيراً عن ذلك.

النواحي الاجتماعية :

البلاد في وضع اجتماعي ممتاز فإن إقبال الشباب والشابات على الزواج كبير كما أن العلاقات بين الأفراد قائمة على التعاون والابتعاد عن المشاغبات كما أن الفتيات في المدارس وبعض النساء في الطريق يرتدين غطاء كافياً لستر جميع الجسم عدا الكفين والوجه.

اللغــة :

اللغة في بروناي هي اللغة الملايوية وليس هذا بعجيب لأن السكان بأغلبيتهم من ذوي الأصول الملايوية فهم في هذا الأمر مثل أهل ماليزيا وإندونيسيا، ولا تختلف اللغة عندهم عنها في ماليزيا وأندونيسيا إلّا في أشياء لا تكاد تذكر مرد بعضها إلى الاختلاف الطبيعي في اللهجات ومرد بعضها الآخر إلى بعض الاصطلاحات التي حدثت بعد الاستقلال.

ويمكن القول بأن لهجة بروناي من اللهجات المحافظة على الصيغ القديمة في هذه اللغة الواسعة التي تجمع مع سعتها سهولة تعلمها لبساطة قواعدها ووضوح إخراج الحروف فيها.

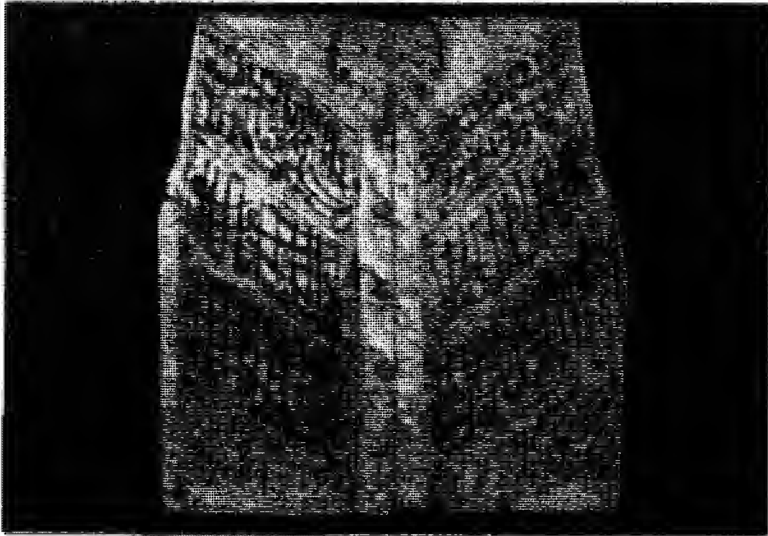
إلّا أن الذي تختلف فيه بروناي في هذا المجال عن شقيقتها الكبرى إندونيسيا هو أن بروناي قد حافظت وشددت المحافظة على استمرار كتابة اللغة الملايوية التي يتكلمون بها بالحروف العربية وعدم التساهل في ذلك بل إن حكومتها حتمت أن تكون اللافتات التي على الحوانيت والمحلات العامة وإشارات الطرق وأمثالها مكتوبة باللغة الملايوية بالحروف العربية على هيئة بارزة وأن

تكون الانجليزية إذا كتبت معها أسفل منها وبخط أقل بروزاً.

واللغة الملايوية ـ على وجه العموم ـ ولهجة بروناي منها على وجه الخصوص حافلة بالكلمات العربية الأصيلة التي لاتزال مستعملة وهي هنا أكثر بروزاً لكونها تكتب بالحروف العربية على هيئة مماثلة أو مشابهة لكتابتها بالعربية فيراها العربي واضحة بارزة وان لم يكن من الباحثين المتتبعين.

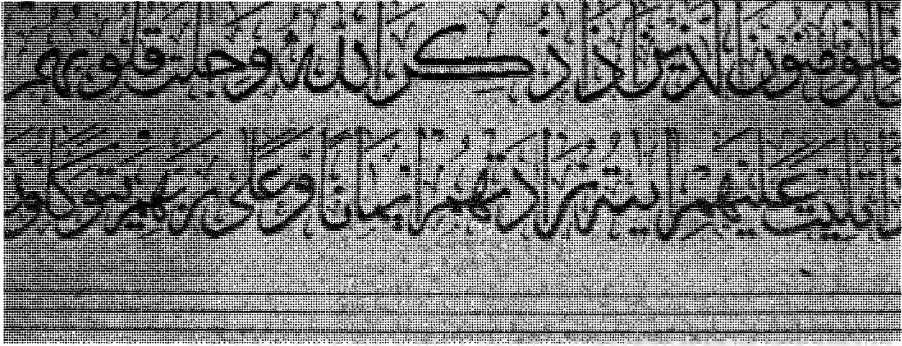
أما اللغة العربية نفسها فإنها لاتزال حية بل مزدهرة في المدارس الدينية ولدى المشايخ والمتخرجين في جامعات البلاد العربية وحتى طلبة العلم الصغار الذين يدرسونها من صغرهم لأن استعمال الحروف العربية في اللغة المحلية يسهل قراءة العربية بطبيعة الحال. على أن اللغة العربية في الماضي كانت هي لغة الثقافة والتعليم وذلك قبل وصول المستعمرين الأوروبيين وغزوهم الفكري للبلاد.

تدل على ذلك شواهد أثرية قديمة حيث كانت الحروف العربية في البلاد تزين بها الملابس والأوعية كما في هذا الرسم.



صدرية مزينة بآيات قرآنية كريمة

وكانت تكتب على المساجد والقبور وتستعمل في زخرفة الأواني والآلات.



آيات قرآنية كريمة على حائط مسجد في بروناي

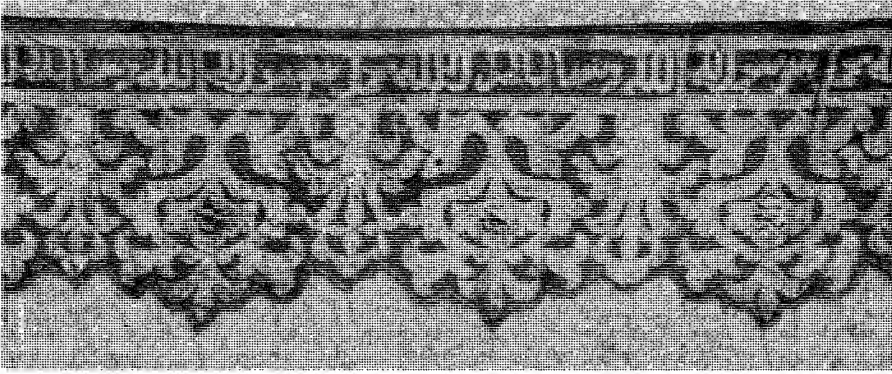
بل كانت العملة في القديم يكتب عليها بالعربية كما تدلنا على ذلك قطعة من النقود التي كتب عليها بالعربية (السلطان العادل) وإن يكن الخط فيها غير أنيق لأن (الخط ما قرىء والباقي صنعة) كما كان المثل يقول. وقد اطلعت على هذه القطعة هناك.



العربية حتى على الجنائز

وقد حكم هذا السلطان العادل في غضون عامي ١٦٠٥ ـ ١٦٢٠ م.

ومع أن بيان أثر العربية في اللغة الملايوية يحتاج إلى كتب مطولة لعمق ذلك الأثر، وبعد مداه، مما لا يتسع له هذا الكتاب فإنه لا مانع من إيراد نماذج من الكلمات العربية المستعملة في الملايوية في بروناي فيما يلي.



نقوش عربية على سوجدة وهي السجادة التي تستعمل في عربة العرس

قلم ـ كتاب ـ مكتب مكتبة ـ عقل ـ منبر ـ كرسي ـ دفتر ـ رسالة ـ ساعة ـ حق ـ شكور ـ عاقبة ـ منكر ـ دعوة ـ تبليغ ـ سلطان ـ ميت ـ قبور ـ لحد ـ أخبار ـ حسد ـ تكبر ـ حياة ـ ديوان ـ شعر ـ قميص ـ بطل ـ إحسان ـ دار السلام ـ دار الهناء ـ دار الإيمان ـ أستاذ ـ أساتذة ـ مفتي ـ قاضي ـ حاكم ـ دعوى ـ فتوى ـ جبة ـ نبي ـ رسول ـ ذرية ـ خليفة ـ خطيب ـ خطبة ـ إمام ـ ملائكة ـ إبليس ـ شيطان ـ ورقة ـ بركة ـ معجزة ـ كرامة ـ علماء ـ مباح ـ واجب ـ حرام ـ حلال ـ لسان ـ لفظ ـ كلمة ـ جن ـ ابن ـ مسابقة ـ سحر ـ عزيمة ـ وفاق ـ مقام ـ حيوان ـ بيت المال ـ إنسان ـ مسافر ـ عاقل ـ مجلة ـ غائب ـ حاضر ـ مجلس ـ جنين ـ دعاء ـ رحمة ـ سلام ـ نكاح ـ قبول ـ رجوع ـ إعلان ـ مجرب ـ جماع ـ مسالة ـ

ثابت ـ خلوة ـ مستجاب ـ أُمة ـ إستراحة ـ تقويم ـ مشهور ـ قاموس ـ حقيقة.

ألوان السكان :

تقع بروناي في الشمال الغربي من جزيرة بورنيو الكبيرة التي تتقاسمها إندونيسيا وماليزيا فهي إذاً في منطقة ملايوية صرفة. وتقع في الدائرة الإستوائية بين خطي العرض الشماليين ٤َ,٢ْ و ٥َ,٣ْ فهي إذاً تقع شمال خط الاستواء ولكنها لا تبعد عن الخط نفسه كثيراً.

والمناطق التي تقع تحت خط الإستواء أو حتى داخل الدائرة الإستوائية يكون أهلها سوداً كما في القارة الإفريقية أو قريبين من السواد كما في أهالي سيلان وأهل الكاريبي بين الإمريكتين الشمالية والجنوبية، وكذلك سكان جزر المحيط الهادىء الواقعة تحت خط الاستواء أو قريباً منه هم سود كالإفريقيين في جزر سالمون ونيو هبريدز وغينيا الجديدة، غير أن أهل (بروناي) ليسوا سوداً وإنما هم سمر سُمْرة تميل إلى الحمرة أو اللون القمحي بل إن قليلاً منهم هم ذوو لون يميل إلى البياض رغم كون تقاطيع وجوههم هي تقاطيع الجنس الملايوي الموجود في ماليزيا وإندونيسيا وأجزاء من بلاد أخرى في منطقة جنوب آسيا الشرقي مثل الفلبين وتايلاند فما الذي منع السواد من أن يصيبهم وهم تحت خط الاستواء؟ أو بمعنى آخر ما الذي جعل خط الاستواء يطبع سكانه بالسواد في كل الأماكن إلّا في جنوب آسيا الشرقي؟

والجواب المبني على القاعدة التي تقول: إن سبب بياض السكان وسوادهم هو من موقع بلادهم وان ذلك هو الذي يؤثر على المدى البعيد في ألوانهم وإن وراثة تلك الألوان هي التي جعلتهم على تطاول العصور يكونون ذلك. فإن ذلك الجواب يأخذ بعين الاعتبار أن سكان خط الاستواء في تلك المنطقة من آسيا الشرقية هم من الجنس الملايوي سواء أكان ذلك في أندونيسيا أم في

ماليزيا أو جنوب تايلند إلى جانب أجناس صينية هي لا تبعد في الأصل كثيراً عن سكان بلاد الملايو وأنه من الملاحظ أن أبناء هذا الجنس الذين عاشوا تحت خط الاستواء في إفريقية نفسها وبقوا فيها عدة أجيال أو ربما قروناً كثيرة مثل الملايويين في جزيرة مدغشقر أو لجيلين أو ثلاثة مثل الصينيين الذين أقاموا في إفريقية تجاراً فإنهم كانوا أكثر صموداً ضد السواد إذْ لوحظ أن العرب والشيرازيين ـ الذين هم من الفرس ـ والهنود المهاجرين إلى إفريقية أو جزر البحر الكاريبي الواقعة تحت خط الاستواء، أو جزر المحيط الهادئ مثل (فيجي) كان السواد يسرع إلى هؤلاء ولا تمضي أجيال منهم قليلة حتى يكون السواد قد غلب على أنسالهم بخلاف هؤلاء القوم من الملايويين أو الصينيين. فهل السر هو في شيء في أجساد هؤلاء أعطاهم المناعة ضد السواد في المناطق الاستوائية؟

الله أعلم بذلك. وهذا التفريع كله مبني على قاعدة أن سبب اختلاف ألوان الناس يرجع إلى موقع بلادهم من خط الاستواء بُعْداً أو قرباً وهي قاعدة لها ما يبررها إذْ لو كان اللون سببه الوراثة وحدها وان الناس يتوارثون ألوانهم من أول الدهر إلى آخره لكان في هذا ـ على سذاجته ـ ما يناقض الكتب السماوية وما هو معروف بالضرورة من الأديان ومنها الدين الإسلامي الحنيف من أن الناس كلهم من آدم عليه السلام. إذ يلزم من القول بوراثة الألوان من أول الزمان إلى آخره أن يكون لكل ذي لون من الناس أب وحده أو لنقل (آدم وحده).

مع أن الناس كلهم في أصل الخلقة من آدم ﴿ يآيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ .

ومع أن هذا القول هو من الاستطراد الذي لا ضرورة له فإنه يرد عنده على الذهن سؤال مُلحٌّ وهو إذاً: ما هو اللون الأصيل في البشرية؟ بمعنى ما هو لون أبينا آدم عليه السلام؟ أو ماذا استقر عليه لونه بعد أن أُهبط من الجنة

وعاش على الأرض؟

والجواب: أن نقول إن الله أعلم بالصواب غير أن علماء اللغة العربية المدققين، أو لنقل المتحذلقين يقولون: إن اشتقاق اسم آدم هو من الأدمة التي هي السمرة الشديدة. فعلى هذا الاعتبار تكون السمرة الشديدة هي أصل الألوان غير أن هذا لا يصح قوله إلّا إذا صح القول بأن اسم آدم عليه السلام اسم عربي أصيل وأن الأدمة في الناس التي هي السمرة الشديدة كانت معروفة قبله وهذا باطل والله أعلم.

بروناي والنفط :

بروناي: دولة منتجة للنفط، وهي من الدول المصدرة للبترول وكونها لم تنضم إلى منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) فلأنها لم تحصل على استقلالها بعد، ولأن بعض الدول المنتجة والمصدرة للنفط لم تنضم إلى (أوبك) لأسباب أخرى متعددة.

وتنتج بروناي مائتي ألف برميل من النفط الخام وهذا الرقم كبير وإن كان يبدو صغيراً بالنسبة إلى إنتاج بعض الدول إلا أنه بالمقارنة مع عدد السكان في بروناي الذي يبلغ مائتي ألف نسمة فإنه يعتبر كبيراً. وبالمقارنة على سبيل المثال فإن إنتاج المملكة العربية السعودية إذا كان معدله في اليوم الواحد سبعة ملايين برميل مثلاً يكون مساوياً لإنتاج بروناي على اعتبار أن المملكة العربية السعودية يقدر عدد سكانها بسبعة ملايين نسمة.

ومع هذه الثروة الضخمة لهذه الجزيرة وهذا الشعب غير الكثير العدد فإن جزءاً من أرصدة العائدات النفطية موجود في المصارف البريطانية لاستثماره وإنفاقه عند الحاجة.

وعندما قارب موعد الاستقلال أن يحين أخذت بروناي تسحب من تلك الأرصدة وتنفق على إعداد البلاد للاستقلال وما يتبع ذلك من استقبال وفود

عديدة من أنحاء العالم كما شاهدنا ذلك واضحاً ظاهراً بل من أوضح الأمور في عاصمة بروناي.

بروناي وسنغافورة :

لعل من طريف المقارنات ما بين بلد معروف مشهور مثل سنغافورة وبلد خلاف ذلك مثل بروناي أن نقول : إن مساحة سلطنة (بروناي) تساوي عشرة أضعاف مساحة سنغافورة ولكن عدد السكان في بروناي يقل عشر مرات عن عدد السكان في سنغافورة.

إضافة إلى أن الثروة النفطية الموجودة في بروناي غير موجودة في سنغافورة وإنما توجد في سنغافورة ثروة من نوع آخر تتمثل في براعة سكانها في إدارة المال والأعمال كما هو معروف.

وإلى جانب النفط فإن بروناي تنتج الغاز الطبيعي بوفرة. هذا إلى جانب عدد من الغلات الزراعية التي توفرها المياه الغزيرة من الأنهار والأمطار وذلك كالأرز ومنتجات البلاد الإستوائية بالإضافة إلى الأخشاب والمطاط.

وفي بروناي معمل كبير لتكرير النفط. كما أنها تسعى في سبيل إنشاء مصانع للمواد النفطية الكيميائية (البتروكيميائية).

وتشير التقديرات إلى أن أرض بروناي تحتوي على مصادر من النفط المخزون في الأرض مما يعطيها الوضع الاقتصادي المتين في المستقبل المنظور كما يقال.

النواحي العمرانية :

أما النواحي العمرانية فإن سلطنة بروناي مقبلة على نهضة عمرانية فائقة فقد خصص يوم المغادرة ليزور وفدنا مجموعة من المشروعات التي تواصل الحكومة إتمامها بهمة ونشاط من أجل أن تكون جاهزة قبل نهاية هذا العام الميلادي

حيث حدد آخر شهر ديسمبر القادم للاحتفال باستقلال البلاد.

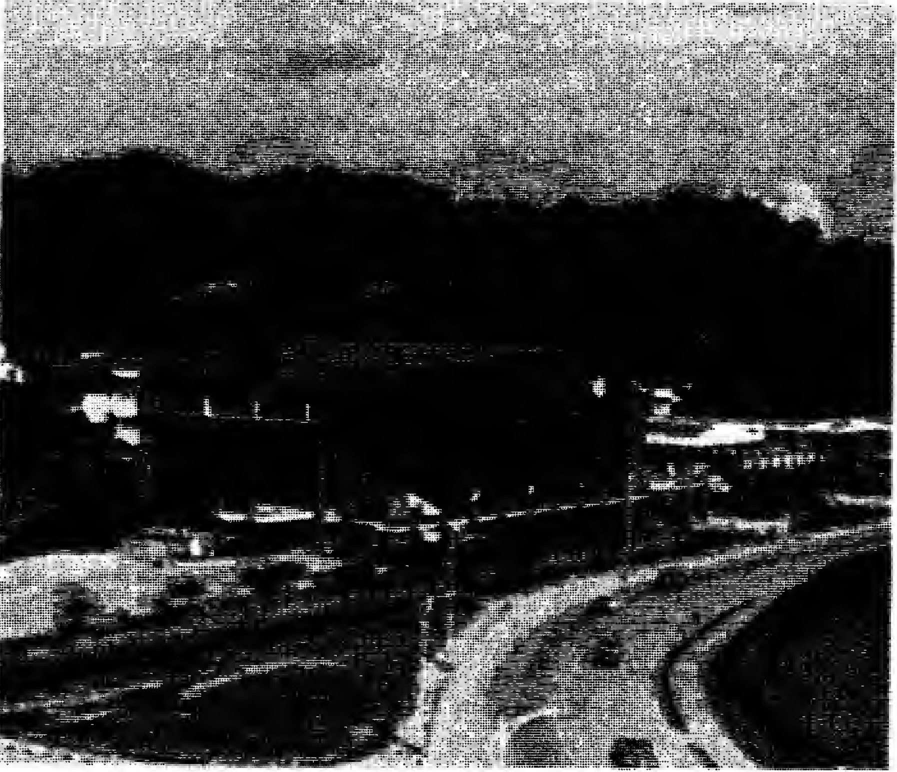
فكان أول ما شاهدناه من مجموعة المشاريع مجمعاً كبيراً لصناعة الحرف اليدوية الأثرية التقليدية التي توارثتها الأجيال والعمل علمياً على إحيائها وتخريج دفعات من الشبان الماهرين فيها.

وزرنا مبنى وزارة الخارجية وكذلك المساكن الشعبية التي تسلم للمستحقين الذين يدفعون قيمتها على شكل أقساط سنوية رمزية لمدة ٢٥ عاماً والمساكن المعدة لكبار موظفي الدولة وكذلك رأينا قصور الضيافة على جانب من الفخامة والأناقة. كما شاهدنا قصراً فخماً عظيماً يجري العمل فيه ليكون مقراً للسلطان وبجانبه قصور صغيرة لأفراد الأسرة الحاكمة وقصر السلطان عند انتهائه سيكون من أضخم القصور في جنوب شرق آسيا. وكل هذه المنشئات على وشك الانتهاء. أما المطار الجديد فقد افتتح منذ مدة قصيرة.



مبنى المطار الجديد في بروناي

هذا بالإضافة إلى أننا رأينا أثناء تجوالنا في شوارع العاصمة التوسع في العمارة والمنشآت الجديدة وبناء الطرق والجسور قائماً على قدم وساق وسوف يأتي تفصيل ذلك في المشاهدات إن شاء الله.



مبنى جديد في بروناي

المشاهدات

يوم الثلاثاء ١٥ جمادى الثانية ١٤٠٣هـ ـ ٢٩ مارس ١٩٨٣م.

من بانكوك إلى سنغافورة :

كنت على وشك السفر من بانكوك عائداً إلى الرياض وقد أخبرت أسرتي في الرياض بموعد توجهي وإذا بي أتلقى مكالمة تقول: إنه قد وردت إلى مكتبي في الرياض برقيات ومكالمات تحدد وصول الوفد حسبما طلبته حكومة بروناي إلى تلك البلاد يوم الخميس ٣١ مارس ١٩٨٣ م وأنهم وضعوا برنامج الزيارة على هذا الأساس. وتطلب البرقيات مني أن يكون الاجتماع بعضوي الوفد وهما السفير أحمد بن علي المبارك والسيد علي محمد مختار في السفارة السعودية في سنغافورة يوم الثلاثاء **٢٩** مارس: اليوم.

وكنت قادماً من رحلة طويلة شملت الفلبين وإندونيسيا وأستراليا ونيوزيلندا وفيجي ونيوكلدونيا ونيوهبريدز وجزر سلمون إلى جانب سنغافورة ذاتها وكنت مشتاقاً إلى أهلي وأولادي ولكن لا بد من تلبية هذا النداء الإسلامي المحبب.

فسافرت في هذا اليوم مع خطوط تايلند الدولية وهي شركة جيدة الخدمة والمواعيد أفضل من الشركة السنغافورية للطيران التي اكتسبت شهرة في هذا الأمر. فغادرت بانكوك في الساعة الثانية عشرة ظهراً ووصلنا سنغافورة بعد ساعتين إلا عشر دقائق فأسرعت بعدما نزلت إلى فندق في قلب سنغافورة اعتدت النزول فيه أتصل بهاتف السفارة السعودية ووجدت أن الموظفين قد خرجوا من السفارة إلّا أن بعض المناوبين أخبروني أنهم لا يعرفون شيئاً عن قدوم السيد علي مختار وإنما يعرفون أن السفير أحمد المبارك سيصل في الساعة الواحدة من بعد ظهر غد وليس اليوم فعرفت أنهما معاً واستسلمت لاستراحة

على الكتابة والاسترخاء رغم كون القائم بالأعمال الأستاذ عبد الرحمن الطعيمي هو صديقي ويلومني كثيراً إذا لم أخبره بموعد وصولي المطار حتى يستقبلني أو يرسل من يستقبلني إلا أنني لا أحب الاستقبالات والتوديعات إلا في بلد لا أمن فيها أو هناك مصلحة عامة في ذلك وما أقل هذا الأمر.

يوم الأربعاء ١٦/٦/١٤٠٣هـ ـ ٣٠/٣/١٩٨٣م :

اتصل بي الأستاذ عبد الرحمن الطعيمي وأخبرني أنه في حال وصول زميليَّ إلى سنغافورة سيحضر إلى الفندق لإخباري بالبرنامج.

وفي الثالثة ظهراً كان يهتف بي من الإدارة في فندقي ويقول : إنهما قد قدما وإنه طلب من الشركة التي تتحمل إنزالهما لمدة يوم واحد أن يكون ذلك في فندق هلتون المجاور لفندقي وأنهما طلبا أن يرياني قبل أن يستريحا من عناء السفر الطويل من مكة وجدة ثم الرياض ثم سنغافورة. فالتقيت بهما واتفقنا على الاجتماع في مساء هذا اليوم.

وأقام الأخ عبد الرحمن الطعيمي مأدبة عشاء سعودية في بيت السفير السعودي الذي يسكنه فكانت فرصة لتبادل الآراء فيما بيننا فيما يتعلق بالوضع العام في هذه الجزيرة والمنطقة عامة ووضع المسلمين على وجه الخصوص.

يوم الخميس ١٤٠٣/٦/١٧هـ - ١٩٨٣/٣/٣١م :

من سنغافورة إلى بروناي :

بروناي : اسم القطر كله ومع ذلك فإن الحديث عنها بل التذاكر التي تقطع إليها لم تقطع باسم عاصمتها التي تسمى الآن (بندرسري بقاون) أي : مدينة سري بقاون لأن (بندر) تعني مدينة بلغتهم و(سري بقاون) هو لقب السلطان السابق الذي هو والد السلطان الحالي وتنازل عن السلطنة لابنه الكبير (حسن) حتى يتمكن من تدريبه على أساليب الحكم وإرشاده إلى ما ينبغي أن يعمله وهو حي ينصحه ويوجهه.

كان في مطار سنغافورة لتوديع الوفد القائم بالأعمال الأستاذ عبد الرحمن الطعيمي والوزير أحمد مطر وزير الشئون الاجتماعية في سنغافورة والشيخ أبو بكر محي الدين رئيس الجمعية الإسلامية السنغافورية والأستاذ علي رضا السقاف وغيرهم ممن كانوا فيما يسمى بصالون الشرف في المطار وأحضرت إليهم المشروبات الباردة أو الساخنة.

قامت الطائرة السنغافورية من طراز (أيرباص) في الساعة الثامنة والنصف صباحاً متوجهة من سنغافورة إلى بروناي وأعلنت المضيفة أن مدة الطيران ستكون ساعة وخمساً وخمسين دقيقة أي مثل المسافة التي تفصل بين سنغافورة وبانكوك بالضبط.

كانت حفاوة موظفي الدرجة الأولى بالوفد زائدة لأننا كنا نرتدي الملابس العربية على اعتبار أننا في مهمة رسمية وقد أحضروا طعام إفطار أسموه طعاماً إسلامياً يتألف من السمك والفطر والخضروات والإربيان (الجمبري) عند المصريين وهذا هو مفهوم الطعام الإسلامي عند أكثر شركات الطيران الغربية

في أوربا والأمريكتين إذ يعتبرون الطعام الإسلامي هو الذي لم يدخله لحم الخنزير أو شحمه.

وهذا صحيح في تلك البلاد لأنها بلاد مسيحية تحل ذبيحة أهلها للمسلمين إلا إذا عرف المسلم أن الذبح في بلد معين يتم بطريق الخنق أو القتل قبل الذبح فإن اللحم لا يحل له مثلما إذا عرف ذلك عن أهل بلد إسلامي.

غير أن الأمر مختلف في هذه البلاد السنغافورية وأمثالها من البلدان غير الكتابية التي أكثر الناس فيها غير أهل الكتاب. فهم من الصينيين أو البوذيين وأولئك لا تحل ذبيحتهم سواء أكانت طريقة الذبح عندهم مثلما هي عندنا أم كانت على غير ذلك.

وإذاً يكون لحم البقر والغنم والدجاج والبط ونحوها لا يجوز أكله فيها إلّا إذا تحقق المرء بشهادة عادلة يثق من صدقها بأن الذي ذبحها هو مسلم وليس من أولئك القوم.

وإذاً يكون الأسلم بل الألزم للمسلم أن لا يأكل في هذه البلاد إلّا من طعام البحر أو أن يبحث عن مطعم لأحد المسلمين يعرف أنه يذبح ما يقدم فيه، أو أنه يشتريه من قوم مسلمين.

وكان من إظهار الحفاوة أن أخذ مضيف الدرجة الأولى وهو شاب أنيق يتحفنا بكلمات قليلة يحفظها من العربية وقد أخبرني بعد ذلك أنه مسلم من أصل ملايوي وأنه تعلم هذه الكلمات وغيرها من اللغة العربية عندما كان يتعلم في مدرسة إسلامية في صغره.

في مطار براكس الدولي :

عندما تدنت الطائرة إلى الأرض قليلاً فوق أرض بروناي بدت الجزيرة خضراء وهذا أمر معتاد لأنها داخلة في المنطقة الإستوائية المطيرة ومع ذلك هي

مجاورة لبحار شاسعة من أهمها بحر الصين الجنوبي وظهرت من الطائرة أبنية المطار وما قرب منه جيدة المظهر محكمة البناء تنطق بأنها في قطر لا يعاني من الفقر.

ومن اللطيف الذي شد أنظارنا إليه أن اللافتات على المطار وحتى على طائرات خطوط (بروناي) الموجودة فيه هي بالحروف العربية مما جعلنا نتساءل عما إذا كنا قد وصلنا إلى بلد عربي؟. إلا أنني تذكرت أننا في بلاد الملايو المحافظة وبلاد الملايو تتكلم باللغة الملايوية التي لم تكن تعرف غير الحروف العربية فهي كانت لزمن طويل سجل ثقافتها الذي حفظ مآثرها ومفاخرها إلّا أن بعض (المتحدثين) و(المتعصرين) في ثقافتهم من أهلها غيروا ذلك إلى الحروف اللاتينية لأنها بزعمهم أسهل من الحروف العربية ولكونها ـ كما يقولون ـ لا بد من تعلمها لمن يريد أن يكون مثقفاً ثقافة عصرية وأنه من الصعب على الطالب منهم أن يتعلم حروف اللغتين كلتيهما.

تماماً مثل ما فعل إخوان لهم في تركيا وإن يكن القصد البعيد أو قل الدافع الخفي وراء الخطوتين مختلفاً في الدولتين ولو أنهم جاءوا اليوم وقارنوا بين المثقفين من العرب والمثقفين من الأتراك الذين تلقوا ثقافة عصرية واحدة لوجدوا أن العرب ليسوا أقل حظاً من الأتراك في هذا الميدان وأن تعلم الحروف العربية لم يبعدهم فضلاً عن أن يمنعهم من الحصول على ما يريدون من الثقافة العصرية الحديثة.

ويكفي أن نشير إشارة واحدة نوردها في سؤال واحد، وهو: كم عدد المثقفين العرب الذي يشاركون الآن في الحضارة الغربية وهم يقيمون في البلاد الغربية ؟ وكم عدد المثقفين الأتراك الذين يماثلونهم؟

طبيعي أن يقول قائل: إن الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى إحصاءات وجداول تتضمن بيانات ومعلومات ولكنني أقول له: إنني أرضى بمثلٍ واحد

يعطي فكرة واضحة عن الموضوع وهو أن يختار جامعة واحدة من الجامعات الأمريكية المشهورة وينظر كم عدد المثقفين العرب فيها، من الأساتذة والمحاضرين وحاملي الشهادات العليا وطلاب الأقسام العليا أيضاً، وكم عدد الأتراك منهم.

أو ليذهب إلى أحد المستشفيات الكبيرة المشهورة في أوربا وينظر الشيء نفسه. ولا أشك كما لا يشك أي متتبع عارف أن عدد العرب أكثر بكثير من عدد الأتراك، بل إن القول نفسه يصدق على الأخوة الباكستانيين الذين يستعملون الآن الحروف العربية في لغتهم الأوردية فهم في هذا كالعرب.

وطبيعي أننا لسنا في مقام المفاضلة أو المقارنة العامة ما بين العرب والباكستانيين من جهة، والأتراك من جهة أخرى ولكننا في مجال الإعلام الذي جاء عرضاً في الكلام على نتيجة إلغاء الحروف العربية واستبدالها باللاتينية في لغة الكتابة التركية الحديثة، ولكل مقام مقال.

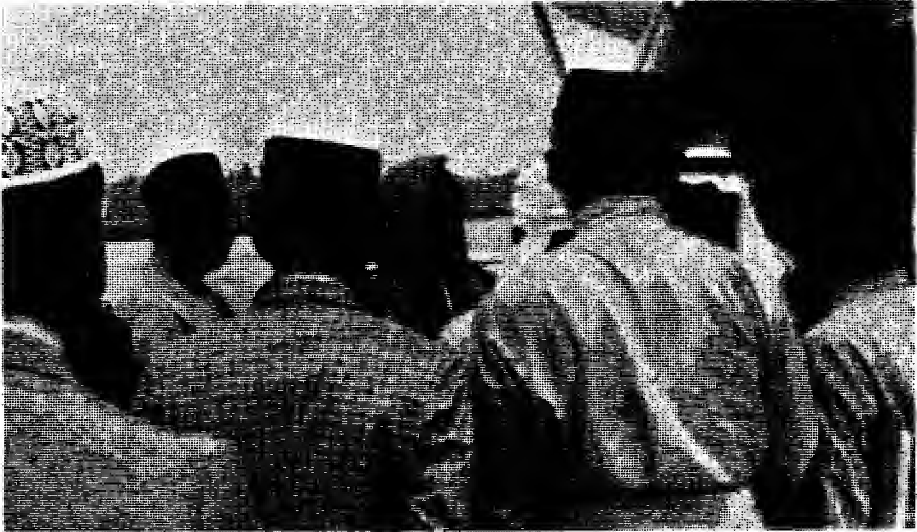
وقد أثار ذلك ما شاهدناه من تمسك هؤلاء الإخوة الكرام بالحروف العربية في لغتهم الوطنية، وبخاصة في هذا المطار الدولي الذي يسمونه (مطار براكس الدولي) وهو في الحقيقة مطار العاصمة (بندر سري بقاون) بل مطار كل سلطنة بروناي.

حطت الطائرة في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين بتوقيت بروناي ووجدنا في المطار عدداً كبيراً من الأخوة المستقبلين على رأسهم رئيس الشئون الدينية في بروناي الشيخ (محمد زين بن سر الدين) وهو برتبة وزير، ومساعده الشيخ يحيي بن ابراهيم كما كان في الاستقبال حشد من مصوري التلفزة والصحافة الهواة، وقد بدأوا بتسجيل الصور ابتداءً من نزول الوفد من الطائرة في إكثار لم نفهم منه إلّا الاهتمام بإخوانهم القادمين من المملكة العربية السعودية بلاد الحرمين الشريفين، وإظهار المبالغة في إكرامهم.



فضيلة المفتي ورئيس الشئون الدينية ونائبه وبعض المستقبلين في انتظار قدوم الوفد في المطار

وبعد استراحة في قاعة كبار الزوار المسماة عند عامة الكتاب بصالون الشرف في المطار أخبرنا الشيخ محمد زين رئيس الشئون الدينية أنه كان في إجازة ولكنه قطعها ليكون في استقبال وفدنا ومعه، طيلة بقائه في البلاد.



الاستقبال عند سلم الطائرة

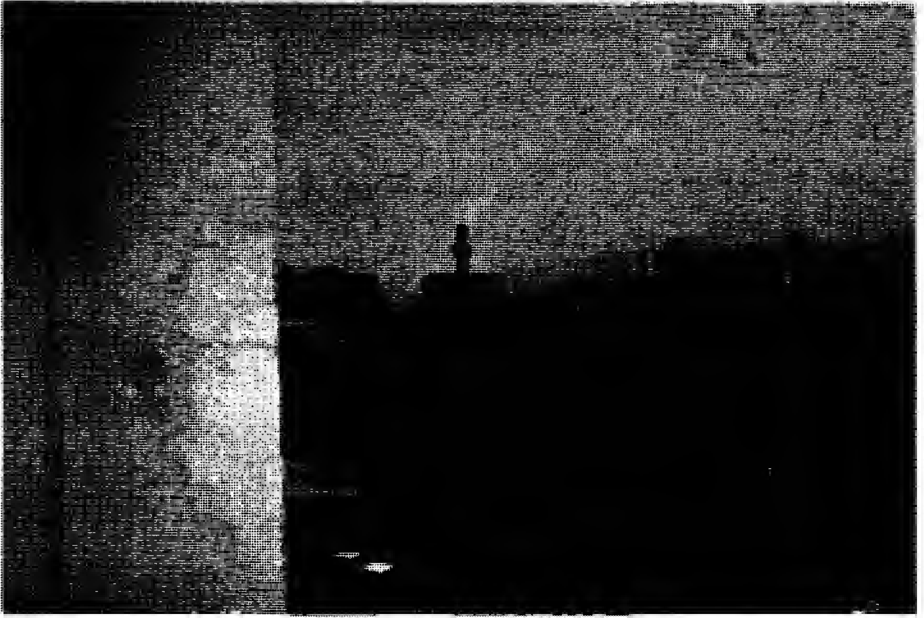
ثم انطلق رتل من السيارات الفاخرة من المطار إلى الفندق، وقد خصصوا مرافقين ملازمين للوفد أحدهما اسمه حاجي عدنان بنْ زينل وهو يعرف العربية لأنه متخرج من كلية أصول الدين في الأزهر ويعمل الآن في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في بروناي.



الوفد في مطار بروناي

في مدينة بندر سري بقاون :

وقف موكب السيارات عند فندق كتب عليه اسمه بحروف عربية ولغة ملايوية (شيراتون) وهو من سلسلة فنادق شيراتون المعروفة في العالم من الدرجة الأولى وأهم ما فيه عندنا التكييف والهدوء مع أنه يقع على ميدان واسع فيه حركة كبيرة للسيارت وقد كنت من غرفتي أرى مسجداً بهيَّ المنظر ذا قبة ذهبية الطلاء ومنارة مضاءة وعرفت بعد ذلك أنه مسجد (عمر علي سيف الدين) كما



من شرفة الفندق أخذ المؤلف هذا المنظر لجزء من الميدان الذي يطل عليه فندق شيراتون.



أحد الميادين في عاصمة بروناي وقد انتشرت فيها أعمال الترميم

أرى أبنية أخرى جيدة إلّا أن الميدان نفسه قد انقلب كله إلى ورشة عمل وتبين لنا بعد ذلك أن هذا ليس خاصاً بهذا الميدان بل هو عام للمدينة كلها إذ تنتشر فيها المشروعات العمرانية الكثيرة التي يخيل للمرء إذا رآهم يجدون فيها أنهم ينفذونها على عجل وذلك بأنهم يسابقون الزمن ويريدون أن يستكملوها قبل أن يحين موعد الاستقلال في أواخر هذا العام الميلادي ، أو أوائل الذي يأتي بعده .

وتبين لي من مطالعة اللافتات على المحلات والسيارات التي تمر من أمام الفندق أن الحروف العربية التي يستعملونها في اللغة الملايوية مكتوبة على الجميع . أما الجو في المدينة فهو حار إلّا أنه ليس شديد الحرارة كما يتوقع أن يكون في بلاد استوائية في موسم الجفاف.

أول جولة في المدينة :

بعد استراحة قصيرة في الفندق ذهبنا إلى تناول الغداء حسب البرنامج الموضوع للزيارة في مطعم يسمى مكيارا بمعنى اللؤلؤ باللغة الملايوية.

فكان مما لفت نظري في الطريق أنهم يستعملون الحروف العربية في اللافتات حتى في إشارات الطرق واتجاهاتها ويكتبونها بشكل بارز ظاهر وتحتها يكون الاسم مكتوباً باللغة الانجليزية ولكن بحجم أصغر، ومنظر تلميذات من تلميذات المدارس وقد خرجن بلباسهن المدرسي الساتر النظيف، ولباس بعض النساء في الشارع الذي لم يقتصر على اللباس الساتر للسيدة وإنما أُضيف إليه غطاء على الرأس وان كانت تغطية الرأس ليست شاملة للجميع.

وشاهد آخر قد يعتبر بعض الناس وجوده مناقضاً لما سبق وهو منظر نساء شابات يعملن جنديات للمرور عليهن اللباس الرسمي الخاص بهن الذي هو سابغ أيضاً ومحتشم وعلى رؤوسهن القبعات الشبيهة بالتي يلبسها رجال المرور في الدول الأخرى. وقد وقفن في هذه الشمس الاستوائية الحارة يوجهن مرور

السيارات ويأمرن السائقين، وينبهنهم، من دون أن يوفروا لهن حتى المظلات وربما كان ذلك لأن مناوبتهن قليلة.

هذا مع أن منظرهن لا يدل أبداً على التقشف أو الحاجة إلى مثل هذه الوظيفة الشاقة فضلاً عن العوز الشديد.

ويقع مطعم اللؤلؤ أو مكيارا بلغتهم في مكان قريب من بحيرة متصلة بنهر بروناي الذي يختلط بمياه بحر الصين فيمده بمزيد من المياه الملحة حتى يصبح نهراً طعم مياهه ليس عذباً.

ويرى منه مبنى كبير حديث لايزال يشيد على ضفة البحيرة وقالوا: إنه مبنى المحكمة العليا وقد جاءوا بالطعام ملايويا حاراً في الأولى والثانية، ولا شك في أنه كذلك في الثالثة كما كان القدماء يقولون. ويمكن أن أفسر لك معنى الأولى وهي الفم أو اللسان والثانية وهي المعدة. وأما الثالثة فإنني أترك تعريفها لذكائك.

وهذا الكلام يصدق على الطعام الذي حرارته من الفلفل الحار لأنها لا تذهب بالتأني في أكله بخلاف ما كان مصدر حرارته من النار فإنه يمكن أن يبرد بالانتظار ولذلك لا يكون حاراً إلا بمقدار.

وكان الغداء في شرفة عالية خالية من الناس. وعماده كما يكون في أكثر البلدان البحرية من طعام البحر من الأسماك المعتادة والأسماك الصغيرة اللذيذة من (الإربيان) أي (الجمبري) الذي صنعوا منه أنواعاً أدخلوها في طعام حار وسلطة باردة فكان في كل حالاته لذيذاً شهياً وقد جنبوا بعض أطباقه البهار الحار من أجلنا نحن الزوار. وذلك إلى جانب اللحوم والأرز الأبيض المعتاد في أمثال هذه البلاد وهو أرز لا يسمن ولكنه يغني من جوع، بل هو طعام الجوع في أكثر هذه الربوع، من آسيا الشرقية والجنوبية الشرقية، وأطرافها بخلاف الأرز الهندي الذي يحشونه بالتوابل الحارة ويغرقونه بالدسم الثقيل ومع ذلك

يضعون عليه من (الكاري) الكاوي الذي هو مرقهم الثقيل أيضاً، فيكون ثقيلاً على المعدة، ويصبح آكله على الزمان ثقيل الوزن، بطيء الحركة، بل يزيد كبره على السنين حتى يصح أن يضرب له المثل بكرة الثلج التي كلما دُحرجت كبرت.

وقد تناول الغداء معنا جماعة من الإخوة البروناويين. وكتبناها بالواو لأن لفظها بالياء يجعل ثلاث ياءات متوالية وهو لفظ ثقيل في النسبة إلى بلادهم ولذلك فعلنا به كما رأيت إخوتنا العرب المقيمين في دولة (بيرو) في أمريكا الجنوبية يفعلون إذا نسبوا إلى تلك الدولة (بيرو) بأن يزيدوا في الاسم نون وقاية فيقولون البرواني أو البروانية للمؤنث. فماذا نقول في النسبة إلى (بروناي) مع وجود نون أصلية ثقيلة مع نون الوقاية؟ ربما كان الأصح أن نقول: (البروناويين) فنقلب الياء واواً كما نفعل بكلمات عربية مماثلة لها إذا كان أصل يائها واوًا.

كان عدد الإخوة الذين شاركونا الغداء حوالي التسعة وكلهم يعرف العربية ويؤنسنا بالحديث فيها وكلهم قد تخرج من الأزهر الشريف في كلية من كلياته، أو تعلم من الذين تعلموا فيه. وللأزهر فضل السبق في إتاحة الفرصة لتعليم هؤلاء الإخوة من أهل بروناي اللغة العربية والعلوم الإسلامية بها.

حديث عن الفلفل:

لا بد من الكلام عن البهار الحار، في مائدة يقدمها أهالي الهند، أو من وراءهم من أهل الأقطار التي تقع في القارة الآسيوية.

وذلك إما لوجود ذلك في المائدة التي تقدم لهم، أو للنص على أنه قد أُبعد عنها لئلا ينفر منها أولئك الضيوف الذين لم يتعودوا أكله. فكان من الحديث على المأدبة أن قال أحد الإخوة الذين كانوا جالسين معنا على المائدة الرئيسية: إن العادة قد جرت على أن المرء إذا أكل من قرون الفلفل الصغير الموجود

عندنا وهو ليس شديد الحرارة عددًا فرديًا كأن يأكل واحدًا أو ثلاثة أو خمسة أو سبعةً كان الفلفل حارًا بمعنى شعر بحرارته في فمه. أما إذا أكل منه عددًا زوجيًا كالاثنين ، أو الأربعة فإنه لا يشعر بحرارة شديدة.

وكان يقول ذلك على سبيل تقرير ما يعتقده بعض العامة في ذلك وليس على سبيل حكاية النكتة أو النادرة. وقال أحد الرفاق متندراً في تعليل ذلك: إن العدد الفردي مذكر، والزوجي مؤنث لذلك كان الأول حارًا قوي الحرارة . والثاني لا حرارة فيه. وكان هذا تعليلاً مناسباً لذلك الزعم.

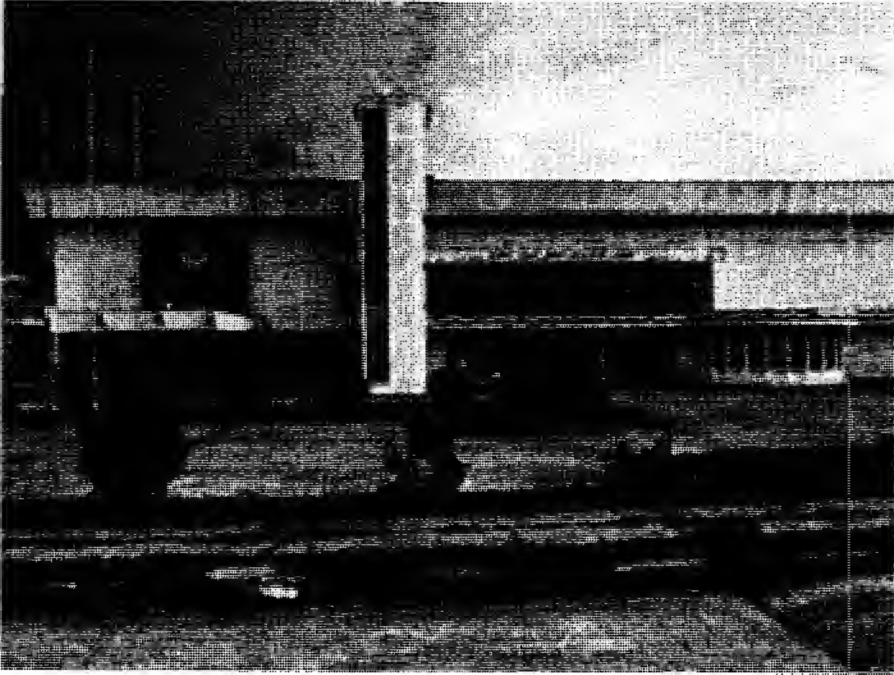


مسجد كلية المعلمين في العاصمة

إلى كلية المعلمين:

يسمونها بهذا الاسم وهي في الحقيقة مختصة بتخريج معلمي الدين

الإسلامي واللغة العربية ومعلماتها وليس جميع المعلمين وذلك لأداء صلاة الظهر في مسجدها قبل أن يحين موعد الفقرة التالية في البرنامج لهذا اليوم وهي مقابلة صاحب الجلالة سلطان بروناي والسلام عليه.



كلية معلمي الدين الإسلامي

كان من أهم ما يلفت النظر عند الإقبال على هذه الكلية القبة الذهبية لمسجدها وهي شبيهة بالقباب المغولية إلّا أنها ذات سعة من الأسفل مرتخية من الوسط ومنارة ذات طلاء ذهبي أيضاً.

استقبل الوفد في مبنى الكلية الشيخ حاج محمد جالي مدير الكلية وهو متخرج من كلية أصول الدين في الأزهر ويعرف العربية جيدًا بطبيعة الحال.

وبعد أن أدينا الصلاة على عجل ذهبنا إلى:

السلام على السلطان:

دخلنا في قصر معتاد ليس عليه آثار البذخ أو الترف الذي قد يعلق في

أذهان من قرأوا شيئاً عن السلاطين القدماء. ثم دخلنا إلى مجلس جيد في قاعة متوسطة السعة مستطيلة الشكل مؤثثة أثاثًا معتدلاً ليس فيه إسراف أو مبالغة.



جانب من قاعة الجلوس السلطانية

وقال لنا الشيخ محمد زين بن سر الدين رئيس الشئون الدينية وعضو مجلس الوزراء ببروناي الذي كان معنا في أكثر الاجتماعات: إن السلطان سيجلس هنا، ووالده السلطان السابق سيكون في ذلك المكان، وأخواه الأكبر محمد سيجلس هنا بجانب والده على المقعد المقابل لكم، والأصغر واسمه (صفري) سيكون في هذا الكرسي.

ثم جلسنا في انتظار مجيء السلطان ووالده وأخويه وهما وزيران مرشحان في الحكومة الاستقلالية القادمة أحدهما وهو الأكبر سيكون للخارجية بعد الاستقلال والثاني وهو الأصغر سيكون وزيراً للمالية.

وكان موظفو التلفزة يقفون في عدد كبير بل كان عددهم مع عدد

المصورين الآخرين أكثر من عدد كل من كانوا في القاعة.

وبعد انتظار قصير كان المصورون يلتقطون أثناءه بعض الصور حضر السلطان يرافقه والده، أو لنقل: إنه هو الذي كان يرافق والده. سلم علينا السلطان أولاً ثم سلم أبوه ثم أخواه. كان سلام الجميع وتصرفاتهم تتسم بالتواضع وعدم التكلف وبطبيعة الحال كان سلامنا عليهم سلام المسلم على أخيه المسلم لم يتسم بالخضوع ولا بالإنحناء الذي يشبه الركوع فنحن لا نفعل ذلك بمن نحبهم بالفعل من كل قلوبنا من ولاة أمورنا فكيف نفعله مع الآخرين؟

ثم جلس السلطان الشاب في صدر المجلس وجلس والده بعيداً عنه مقابلاً لنا، وجلس أخواه بجانب والدهما في الناحية البعيدة.



السلطان في استقبال الوفد

بدا السلطان شاباً صغير السن عن مثل هذا المنصب لأنه تسلم السلطة منذ وقت قريب وإن كان ثابت النظرات ومؤهلاً لإتقانها في المستقبل، وينبغي أن يتذكر المرء أن حكومة برناي لاتزال تحت الحماية البريطانية بمعنى أن بريطانيا هي التي تتولى تصريف الشئون الخارجية والدفاع، وعلى هذا ليس للسلطان فيها خبرة بالتعامل مع الضيوف الأجانب وبخاصة من الوفود الرسمية.

وشكله لا يبعد كثيراً عن شكل العربي الجنوبي، فهو أسمر مستطيل الوجه ليس على وجهه أية مسحة ملايوية، ولا هو بالهندي المظهر، وقد تقدم حديث عن أصل هذه الأسرة الحاكمة العريقة.

أما والده فهو شيخ في السادسة والستين من العمر يبدو رضيَّ النفس، ثابت الجأش، مظهره مظهر الأغنياء في جنوب الهند الذين يقول الناس عنهم:



والد السلطان في القاعة السلطانية على يساره أبناه عند مقابلة الوفد

إنهم مختلطون بالجنس العربي الجنوبي. أما السمات الظاهرة الواضحة في وجوه الجنس الملايوي من قصر الأنف وبروز الوجنتين مثلاً فإنها غير ظاهرة عليه. إلا أنه بدا مهتماً للمقابلة لا من أجل الضيوف فهو شيخ مجرِّب لا تهمه مثل هذه الأمور، وإنما من أجل أن تكون المقابلة مقابلة ابنه لضيوفه مناسبة. وأن تكون حلقة من سلسلة التجارب التي يمر بها الابن السلطان حتى يستفيد منها فيما يأتي من الزمان.



والد السلطان أثناء الاجتماع وظهر دونه اثنان من الخدم الذين يقدمون الشاي وهم جلوس على أرجلهم.

بعد أن استقر السلطان ووالده وأخواه في المجلس تكلم الوفد وكان المترجم الشيخ يحيي بن إبراهيم وكيل إدارة الشئون الدينية إذ لم يحضرها غيره ممن يحسن العربية ما عدا الشيخ محمد زين بن سر الدين، ومفتي بروناي.

وقال الوفد من بين ما قاله للسلطان: إن الوفد يحمل إليكم تحيات جلالة الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية والمسئولين في المملكة ويحمل إليكم تهنئة الجميع على ما علمناه من عزمكم على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بعد الاستقلال ويسرنا أن نخبركم بأن المملكة مستعدة لمساعدة شقيقتها (بروناي) بكل ما تستطيع تقديمه من مساعدات وبخاصة في ميدان المساعدة على كيفية تطبيق الشريعة الإسلامية. وكان الشيخ يحيي بن إبراهيم يترجم كلامنا وهو يوجه الحديث إلى السلطان نفسه الذي كان جالساً في صدر المجلس ووالده في جانب المجلس وليس في الجهة التي هو فيها.

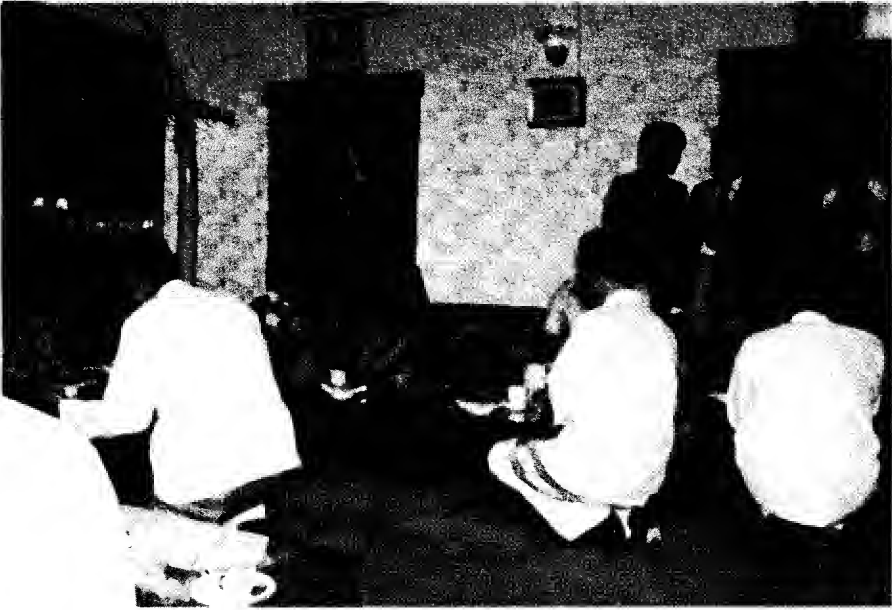


في انتظار قدوم السلطان المؤلف على يمينه الأستاذ أحمد المبارك فالشيخ مفتي بروناي.

ولم يرد السلطان على هذا الكلام وإنما ردّ والده فقال باللغة الملايوية كما هو كلامه في كل جلسة : إننا نريد مساعدة المملكة في ميدان التعليم فنحن نريد المزيد من الأساتذة ونريد تعليم أبنائنا ، ونرجو أن يتم بحث ذلك في المباحثات الرسمية معكم.

وعند نهاية المقابلة قدم السيد علي مختار مصحفاً للسلطان ولوالده السلطان مصحفاً آخر فعلق السلطان قائلاً: لقد أهدى إليّ أحدهم مصحفاً من باكستان فوجدنا فيه غلطاً، يشير بذلك إلى أنه يثق بصحة المصحف الذي يُهدى إليه من المملكة العربية السعودية.

كان السلطان يتكلم وكنت أتأمل مجلسه فأجد صدره الذي هو جالس فيه لم يشاركه أحد لا من الضيوف ولا غيرهم من الجلوس، بمعنى أن الجهة التي هو فيها لم يجلس فيها غيره ونحن الوفد في الجهة اليمنى على يمينه ووالده وأخواه في الجهة اليسرى المقابلة .



والد السلطان والخدم يقدمون الشاي إليه وإلى أبنائه بخضوع.

وخلف السلطان خزانة ذات واجهة زجاجية فيها تحف وقد حف بها نابان من أنياب الفيلة الطويلة الدقيقة . وقال والد السلطان قبل مودادعته : إن استقلال البلاد سيكون في أول العام القادم وسوف ندعوكم للمشاركة في الاحتفال بذلك ، فأرجو حضوركم فشكرناه ونهضنا مودعين ونهض السلطان ووالده وأخواه مصافحين .

جبهة وسبعة القاب على كف السلطان :

المجلس كله ينطق بالاعتدال والتوسط في الأمور فلا إسراف ولا مبالغة في تأثيثه أو مظهره والسلطان نفسه ووالده الوقور السلطان السابق وأخواه كلهم يظهر عليهم التواضع وعدم التكبر وظني أن والد السلطان رجل متزن مُحنَّك قد حنكته التجارب وعركته السنون . أما ابنه فإنه ليس مثله في هذا الأمر ولكنه ربما يكون كذلك في المستقبل .



هكذا يسلمون على السلطان

ولم أَرَ شيئًا يستنكره الرجل الذي نشأ في بيئة لا تبالغ في تعظيم المسئولين ولا تنافقهم إلَّا الخضوع العظيم الذي أظهروه أمام السلطان ووالده فمن ذلك أن الذين قدموا الشاي والذين قدموا المأكولات الخفيفة التي تشبه البسكويت والحلوى بعده كانوا يقدمونها إلى السلطان ووالده وأخويه وهم جاثون على الرُّكَب فلا يستطيع المرء منهم أن ينتصب أمام السلطان ، أو أن يكتفي بمجرد الانحناء امامه .

ومن ذلك أن الشيخ يحيى بن إبراهيم وكيل إدارة الشئون الدينية الذي تولى الترجمة رأيناه عندما سلَّم على السلطان عند حضوره وعند الانصراف قبَّل يده ثم انحنى ووضع جبهته على كف السلطان وهو في كل ذلك قد انحنى انحناءً. فقلت في نفسي : إنه يشغل وظيفة دينية رفيعة وهو ذو ألقاب سبعة هي (فيهين توان إمام داتو سري سيتا حاج يحيى بن إبراهيم) فإذا أُضيف إليها اللقب الذي يُخْلَع على أمثاله في البلاد العربية وهو صاحب الفضيلة أو فضيلة الشيخ واللقب العلمي وهو حاصل على شهادة الماجستير من الأزهر كثرت الألقاب وتعددت الأسماء ولكن :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لَعُظِّما

كما قال القاضي عبد العزيز الجرجاني رحمه الله .

هذا ومن الملاحظات الشكلية في الجلسة أن الذين قدموا الشاي وكانوا لا يقدمونه واقفين وإنما يجلسون على أرجلهم في جلسة القرفصاء احترامًا للسلطان ووالده وأخويه كما تقدم إلا أن الغريب هنا أن السلطان هو الذي يسكب الشاي لنفسه من الإبريق وليس الخدم .

أما نحن الضيوف فإنهم صبوا لنا الشاي بأنفسهم .

وهذا يوحي بتواضع السلطان وعدم تكلفه في التعامل مع صغار الأفراد في



السلطان يسكب الحليب بنفسه على فنجان الشاي

شعبه خلاف ما توحي به طريقة السلام عليه من بعض الموظفين الكبار.

والواقع الذي سمعناه من كثير من الناس أن العلاقة بين السلطان وأفراد الشعب تتسم بالبساطة والتواضع. فالسلطان يحيي أفراد شعبه في المناسبات العامة ويختلط بهم ويصافحونه كما يصافح الأخ أخاه.



السلطان يحي أفراد الشعب ويحيونه بعد صلاة العيد.



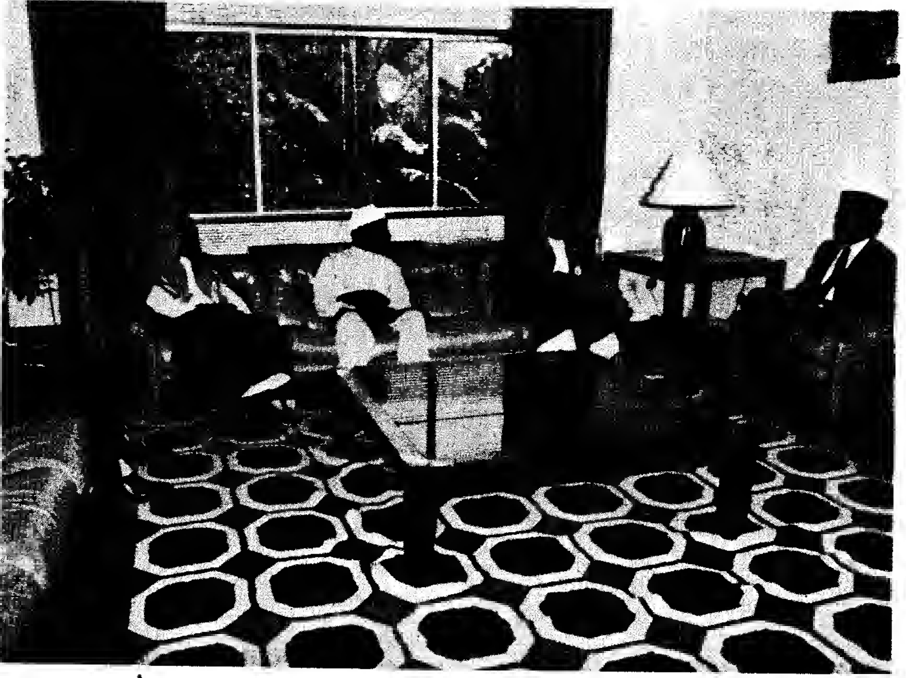
في منزل مستشار السلطان المؤلف بين الأستاذ أحمد المبارك والشيخ يحي بن ابراهيم الذي قام بالترجمة.

في منزل مستشار السلطان :

كانت الفقرة التالية في البرنامج زيارة مستشار السلطان وهو صاحب الدولة المستشار العام لصاحب الجلالة فيهين داتو حاج عيسى بن فيهين داتو فردان منتري داو حاج إبراهيم ، واسمه بدون الألقاب (عيسى بن إبراهيم) ومعروف عندهم أنه من أهم الشخصيات المؤثرة في البلاد ، حتى إن منزلته الشخصية فيها أكبر من منزلة رئيس الوزراء ، ولذلك وضعت مقابلة الوفد له في البرنامج قبل مقابلة رئيس الوزراء .

ويقولون إن والده كان مستشارًا للسلطان حتى بيته قريب من قصر السلطان .

دخلنا عليه في منزله فكان مصورو التلفزة والمصورون الآخرون يصورون لحظة الدخول واللقاء .



مستشار السلطان الحاج عيسى بن ابراهيم في يمين الصورة (بالطربوش) يتحدث إلى أعضاء الوفد.

وجدناه شابًا ملتحيًا بلحية صغيرة كانها اللحية الرسمية لبعض قومنا في الخليج وليس على العارضين منها شيء ، وهو ذكي رزين التفكير ، بطيء التأثر بل إن الطيبة التي نلحظها على وجوه أكثر القوم هنا يقابلها حذر ملموس بادٍ على وجهه . فكأنه من قوم آخرين . وبيته وأثاث بيته يغلب عليه التوسط وعدم البذخ . ولم يزد الحديث عند المقابلة على السؤال عن الحال والوصول ولم يتطرق إلى بحث أمر هام .

مقابلة رئيس الـوزراء :

ثم انطلق الوفد ومعه المرافقون الذين أهمهم الشيخ محمد زين بن سرالدين لمقابلة رئيس الوزراء في مكتبه واسمه عبد العزيز ومع الألقاب المختصرة فيهين داتو حاج عبد العزيز بن عمر أما الألقاب الكاملة له مع اسم أبيه فهي صاحب الدولة ، رئيس الوزراء فيهين اورنجاي داتو سري سيتا أواغ حاج عبد العزيز بن

بقاون فيهين اودنا خطيب داتو سري فادك حاج عمر .

وهو الشخص الوحيد من بين المسئولين الذين قابلهم الوفد اليوم ممن سبقت لنا مقابلتهم ماعدا السيد علي مختار فهو يعرف أكثرهم لأنه سبق أن زار بروناي مرة من قبل هذه .

أما رئيس الوزراء فكلنا قابلناه ثلاثتنا في مكة المكرمة عندما كان قادمًا لأداء العمرة قبل ثلاثة أشهر وكان نازلاً في ضيافة الحكومة السعودية مع مرافقين له .

وقد اخبرنا آنذاك أن كل ما يتعلق بالشئون الدينية هو من اختصاص السلطان وأنه سوف يطلب منه أن يوجه إليكم دعوة رسمية لزيارة بروناي ، وقد حصل ذلك بالفعل فوفدنا كان قد تلقى الدعوة للزيارة عن طريق رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة .

استقبل رئيس الوزراء الوفد بقلب مفتوح وتكلم معنا كما يتكلم الأخ مع أخيه . وهذا أمر عرفناه منه عندما تقابلنا في مكة المكرمة وقد تكلم كل عضو من أعضاء الوفد بكلمة مناسبة . فكان من كلمتي أننا نهنيء حكومة بروناي في عزمها على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء في كل شئون الدولة لأننا في المملكة العربية السعودية إضافة إلى كون ذلك يتفق مع مبادئنا في الأخذ بالشريعة الإسلامية فإنه قد كفل الأمن والاطمئنان لشعبنا حتى غدت المملكة مضرب المثل لذلك في العالم ، في الوقت نفسه الذي أصبحت فيه حتى أرقى الدول في التقدم المادي مسرحًا للجرائم والخوف والإرهاب . ويكفي أن نضرب مثلاً عن ذلك بالولايات المتحدة الأمريكية أكبر قوة مادية صناعية في العالم فقد انتشرت فيها الجرائم إلى درجة أن الرجل لا يستطيع أن يسير وحده في معظم شوارع مدنها الرئيسية في الليل . فإذا كانت مدنيتها لم تضمن الأمن لمواطنيها فما هي قيمة الأشياء المادية الأخرى ؟

وكان من كلام رئيس الوزراء قوله : إننا نقوم الآن ببناء مركز للدعوة الإسلامية نرجو أن يوفر لنا متخرجين في الشريعة الإسلامية والفقه ، بل إننا نطمع إلى أن يصبح مركزًا لتخريج علماء الشريعة ليس من هذه البلاد (بروناي) وحدها وإنما من أقطار أخرى في آسيا بحيث تكون بروناي مقصدًا لهذا الغرض ، وإننا نرجو مساعدة المملكة العربية السعودية في الحصول على مختصين في الشريعة الإسلامية للتدريس فيه .

فشكرنا لهم هذا الهدف النبيل وشجعناهم عليه وقلنا لهم : إن حكومتنا مستعدة للمساعدة في هذا الموضوع بل إن ذلك سيكون مبعث سرور وارتياح لجميع المسئولين في المملكة وعلى رأسهم جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله .

وكان رئيس الوزراء يتكلم والابتسامة لا تكاد تفارق فمه أو وجهه بخلاف مستشار السلطان الذي كان مظهره مظهر الجاد الذي كأنما يفكر في أمر هام . وليس هذا هو الفرق الوحيد بين الرجلين فهناك فرق آخر يتمثل في المظهر فرئيس الوزراء قصير يميل جسمه إلى النحافة والمستشار مربوع يميل جسمه إلى النحافة أيضًا إلا أنهما يشتركان في أن كل واحد منهما له لحية خفيفة من دون عارضين خلاف السلطان ووالده وأخويه بل خلاف أكثر العلماء في هذه البلاد ما عدا المفتي فليس في وجوهم لحى .

وعند انتهاء المقابلة قدم رئيس الوزراء هدية لأعضاء الوفد لطيفة ـ إن لم أقل : إنها ألطف هدية تلقيتها واحسنها وقعًا في نفسي ـ وهي مؤلفة من ثلاثة أشياء أحدها كتاب مصور عن بروناي بالملايوية والانجليزية وكنت بحاجة إليه والثانية علبة فيها نماذج من النقود الفضية الذهبية التي أصدرتها حكومة بروناي في الماضي موضوعة في غلاف مرتب جميل والثالثة ميدالية فضية باسم السلطان وكان لهذه الهدية اللطيفة وقعها الحسن لأنها هي التي نريدها وهي ليست بذات الكلفة الغالية ويمكن حملها إلى بلادنا بسهولة .

وأذكر في هذه المناسبة كثرة الهدايا التي تلقيتها عندما كنا في الفلبين قبل شهرين ولكنها كلها أو أكثرها هدايا تكون مما اتفق وإن لم تكن مناسبة ، ومن ذلك أن نائب وزير التعليم كانت هديته إليّ علبة كبيرة من سيجار موضوع في علبة خشبية أنيقة مع أنهم يرونني ويعرفون أنني لا أُدخن السيجار ولا غيره والوحيد من زملائي الذي يدخن كان مندوب وزارة الخارجية الأستاذ محمد عبد الرحمن البسام فظننتهم غلطوا في توجيه الهدية واعطوني هديته بدلاً من الهدية التي أعدوها له وهي السيجار لأنه كان يدخن أمامهم ولا يصبر عن التدخين ، فضحك وقال : لقد اعطوني أيضًا هدية من هذا السيجار .

من الأشياء التي لفتت انتباهنا عند هؤلاء الأخوة لباسهم الوطني في الأماكن الرسمية والمناسبات وهو أنهم لابد من أن يلفوا فوقه على وسط الجسم فوطة تختلف جمالاً ومظهرًا وقيمة باختلاف مركز الشخص . أما الذي تحتها فأكثر ما يكون لباسًا كالافرنجي وما هو به ، إلَّا في حالة الذين لا يلتزمون منهم بالرسميات كثيرًا فإنهم يلبسون الزي الافرنجي الكامل فوقه تلك الفوطة.

وظننت أن أصل ارتداء هذه الفوطة فوق اللباس الأنيق كان الخوف من تلوث الثياب في بلاد مطيرة رطبة في القديم عندما لم تكن الكراسي متوفرة لسائر الناس فاستمر لباسها من باب الاعتياد والمحافظة على التقاليد ، مثلما كان الأصل في لبس العباءة عندنا في الجزيرة أن تقي الأعراب من الحر والبرد ، ثم تطورت بحيث أصبحت لا تقي من حر ولا برد في فصل الصيف ولكن لبسها من باب الاعتياد واكتمال الزي الرسمي أصبح أمرًا لازمًا في الحفلات الرسمية والمناسبات المهمة .

وعندما عدنا إلى الفندق فتحنا التلفاز فرأيناهم يعلنون أذان المغرب منه ، وقد اخبرونا أن الإذاعة الرسمية تذيع الأذان . وأما التلفاز فإنه يذيع الاذان في الأوقات التي يكون فيها مفتوحًا . كما لاحظنا أن المذيعات في التلفاز كلهن عليهن لباس ساتر قد غلب عليه طابع الحياء والاحتشام . ثم طالعنا في الساعة

السابعة نشرة الأخبار في التلفاز وهي تبث نبأ وصول الوفد بروناي بعناية ظاهرة وتبرزه أكثر من غيره من الأخبار مع مقابلة السلطان ومن بعده .



الوفد في منزل رئيس الشئون الدينية وهم من اليمين إلى اليسار الشيخ علي مختار فالشيخ اسماعيل بن عمر بن عبد العزيز المفتى فالأستاذ أحمد المبارك فالمؤلف فالشيخ يحي بن ابراهيم.

على مائدة رئيس الشئون الدينية :

وهو الذي أصبح صديقنا وملازمنا بعد ذلك رغم كونه في إجازة عندما وصلنا فقطع إجازته وصار ملازمًا للوفد واسمه مع الألقاب : (فيهين اورنكاي رتنا دراج داتو سري اوتام حاج محمد زين بن حاج سر الدين) وبدون الألقاب محمد زين بن سر الدين) وهو برتبة وزير وعضو في مجلس وزراء بروناي .



حديث بين الأستاذ أحمد المبارك والشيخ محمد زين.

ومائدة العشاء التي سيقيمها هي مأدبة رسمية مثبتة في برنامج زيارة الوفد وهي في بيته ولذلك وجدنا حشدًا من مصوري التلفزة والصحافة وبعض المصورين الآخرين . استقبلوا الوفد عند أبواب السيارات يصورون ثم كرروا ذلك عند الجلوس وعند الحديث وعند الأكل ، وذلك كله من باب إظهار الإكرام والعناية بإخوتهم القادمين من البلد الحرام .



الشيخ محمد زين يرحب بأعضاء الوفد ويصافح الأستاذ أحمد المبارك عند الوصول إلى بيته.

وكان الداعي الشيخ محمد زينٍ هو نجم الحفلة الساطع وعريفها اللامع فهو يتقن العربية اتقانًا جيدًا لأنه قد حصل على الشهادة العالية من الأزهر الشريف ، وهو عالم من علماء الدين وقد حشد في المأدبة مجموعة كبيرة من الإخوة المشايخ وطلبة العلم في بروناي وأغلبهم قد تخرج من مصر وكلهم يتكلم العربية ويتحدث بها معنا .

ولما تعجبنا من كثرة المتحدثين بالعربية هنا قالوا : إن عدد خريجي الأزهر من أهل بروني قد بلغ حتى الآن خمسين شخصًا . وهناك أعداد من طلبة العلم الذين تلقوا العربية في المدارس الإسلامية في بلاد الملايو : ماليزيا وبروناي وغيرهما .

ومن لطيف ما في هذه المأدبة أننا وجدناها جاهزة عندما وصلنا فما أن جلسنا وتناولنا بعض الشراب البارد حتى قال مضيفنا الشيخ محمد زين : هيا إلى العشاء ، فوجدنا الموائد الكبيرة قد أُعدت وأواني الطعام على النار جاهزة من دون انتظار ، فكان الآكل يُفْرِغ في صحنه ما أراد بارشاد من بعض القوم ، لأننا بحاجة إلى إرشاد ، فنحن لا نريد الأكل الحار المليء بالبهار ، والأخوة يعيشون في قطر من الأقطار المعتادة على أكل الطعام الحار . وكان الطعام منوعًا ولأطعمة البحر فيه نصيب كبير ، ولكن الطعام من غيرها كثير .

فأكلنا هنيئًا بين إخوة أعزة لا تسمع في الحفلة منهم نجيا ، إلّا كلامًا فصيحًا عربيًا . فكانت المائدة لذلك غذاء للبدن والروح .

ومن أحسن ما صنعوه أنهم فرقوا أعضاء الوفد على الموائد فجعلوا كل واحد منا على مائدة منفردًا عن رفيقيه في الوفد وأحاطوه بطائفة من الإخوة البروناويين من العلماء الذين يتكلمون العربية فيفيدون الضيف أخبارًا من أخبار بلادهم ، ويستفيدون منه ما يريدون معرفته من أحوال البلاد العربية ، أو يناقشونه في مسألة علمية أو واقعة دينية .



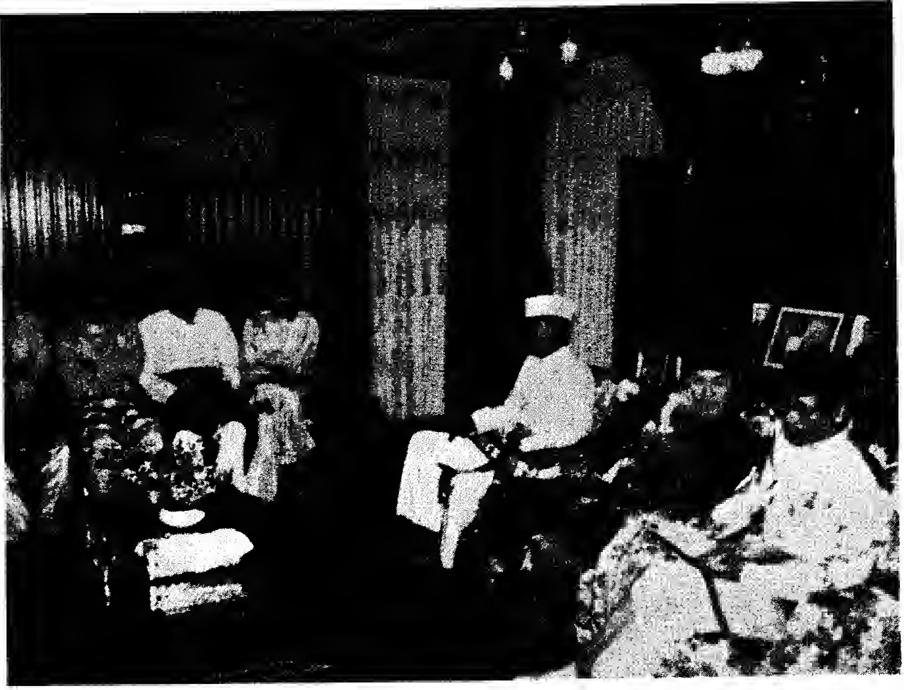
الشيخ أحمد المبارك عضو الوفد على مائدة منفردة مع طائفة من الأخوة الذين يتكلمون العربية من أهل بروناي.

فهم فعلوا هنا أكثر مما يفعل في المعتاد في بعض البلاد من أن يكون جليس الضيف الذي بجانبه يحسن لغة يحسنها الضيف حتى يتحدث معه ، وإنما باعدوا الموائد وهي كبيرة تتسع كل واحدة لعشرة أشخاص أو أكثر من ذلك كثيرًا .



المؤلف على مائدة منفردة مع إخوة مثقفين يتكلمون العربية من أصل بروناي.

فكنا نتناول العشاء ونتحدث بما نشاء بالعربية وكأننا في بلادنا لم نخرج منها ولاسيما وأن الحديث كان لابد أن يكون عنها وعن غيرها من بلاد المسلمين لأن هذا أمر يهم علماء الدين بطبيعة الحال والحديث فيه مع هؤلاء الزوار من بلاد الحرمين الشريفين هو المجال الذي لا مثيل له من مجال ، ولكل مقام مقال .



طائفة من الإخوة أهل بروناي بالملابس الوطنية وتلاحظ الفوط التي يشدونها على أوساطهم.

يوم الجمعة ١٤٠٣/٦/١٨ هـ ١٩٨٣/٤/١ م

صباح بروناي :

أزحت ستارة النافذة فكانت إطلالة على الميدان الواسع أمام فندق (شيراتون) وظهر هذا القسم من مدينة (بندر سري بقاون) التي كانت تسمى في السابق (بندر بروناي) أنيقا بل مترفًا ، وأهم ما تقع عليه العين مسجد عمر على سيف الدين بقبته الذهبية اللون ذات المنظر المتميز ، ومبنى المجلس الوطني (البرلمان) بقبته المسترخية وهي على شكل غطاء الطبق ذهبية اللون أيضًا .

وكما ارتفعت منارتا المسجد بجانب قبته الذهبية ارتفع نصب في وسط مبنى البرلمان بجانب قبته الذهبية يتوج رأسه شعار الدولة وهو الهلال فوقه جناحا صقر يعلوهما تاج رمزًا للسلطنة ، وبناء ضخم كبير يجري العمل فيه ولم يكتمل بعد ، وهو مبنى مكاتب رئاسة مجلس الوزراء .

وفي الميدان شجيرات من أشجار النارجيل النضر ، متفرقة تبدو كالنخلات في بلادنا العربية ، والسيارات التي تسير فيه في هذا الوقت المبكر من الصباح ليست كثيرة وهي حديثة جيدة أكثرها من صنع ياباني إلَّا أنها ليست أنيقة وليست بالغة النظافة .

وفي الميدان كان العمال المبكرون قد بدأوا العمل في تركيب أنابيب ضخمة للمياه وعمال آخرون يعيدون سفلتة أجزاء من الميدان وآخرون يعملون في تخطيط بعض أركانه من جديد ، مما أعاد إلى ذهني منظر بعض الأماكن في بلادنا التي تكون فيها مجموعة من الشركات تنفذ أعمالاً مختلفة في آن واحد ، لا يجمع بين تلك الأعمال إلا إرادة التحسين والإصلاح تدفعها الإمكانات المالية المتوفرة .

فالقوم مثلنا عندهم أموال من (البترول) كثيرة أو على تعبير الذين يحبون اختصار الكلام ويضربون المثل يالسيء : نفطيون ، ونحن لا نقول ذلك ، لأن النفط قبيح المنظر ، خبيث الرائحة ، ولا يرضي عاقل أن يُنسب إليه وإن رضى أن يتسلم النقود التي تأتي منه .

ولم أَرَ جزءاً سالمًا من العمل وإعادة الإصلاح في هذا الميدان الرئيسي إلّا جزءاً أمام البرلمان على هيئة حديقة منسقة ذات حشائش مهذبة وزهور جميلة متعددة الألوان ، وفيها شجيرات قليلة من النارجيل .

العطلة الأسبوعية العجيبة :

بروناي : بلد مسلم هذا هو الرسمي وهذا هو الواقع ، وقد اخذت دولة بروناي بالإسلام أكثر مما أخذت به دول كثيرة من الدول العربيةوالقريبة من مراكز انتشار الإسلام مثل سورية وتركيا وهذا الكلام ينطبق على الواقع الرسمي الذي تأخذ به الدولة وليس على ما عليه الشعوب .

ومن أهم مظاهر ذلك أن يوم الجمعة عندهم عطلة أسبوعية رسمية للدوائر الحكومية وغيرها ولذلك عندما سألنا المكلف بالحجز للسفر وتعديل التذاكر التي كانت تمر بسنغافورة وطلبنا أن تكون رأسًا إلى بانكوك حين علمنا أن طائرة من طائراتهم تذهب إلى بانكوك في اليوم الذي سنسافر فيه وهو يوم الأحد القادم .

قال لنا المكلف بالحجز : إننا لن نستطيع أن نعمل في التذاكر شيئًا اليوم لأنه يوم عطلة فسررنا بذلك وقلنا : هذا مثل ما عندنا فيوم الجمعة ينبغي أن يكون يوم عطلة ، لمخالفة الكافرين أولاً ، ولإتاحة الفرصة للعامل المسلم أيًّا كان عمله أن يكون على استعداد لأداء صلاة الجمعة ، ولأنه لابد من عطلة يوم أو يومين في الأسبوع ، وهذا أمر مأخوذ به في كل أنحاء العالم ، ويوم الجمعة أولى الأيام بذلك للمسلمين . فقالوا هذا صحيح ، فسألناهم عن يوم

السبت أيوم عمل ، أم يوم عطلة ؟ فأجابوا بل يوم عمل .

فقلنا : إذًا لا يعطل الناس عندكم إلا يومًا واحدًا ؟ فقالوا : بل يومين ، وعجبت من ذلك . فقلت : إذًا يكون يوم الخميس الذي قدمنا فيه يوم عطلة رغم كوننا وجدنا المكاتب مفتوحة وبخاصة وجدنا كبار المسئولين في مكاتب العمل . فعلقوا على ذلك بقولهم : بل يوم الخميس يوم عمل . فقلت لهم : إنني لن أُخَمَّن شيئًا بعد ذلك ، وقد بلغت بي الحيرة مبلغها . فأخبروني بجلية الأمر .

فقالوا : عندنا يومان في الأسبوع كلاهما يوم عطلة : أحدهما : يوم الجمعة والثاني : يوم الأحد . فالأول عطلة من أجل كوننا مسلمين . والثاني عطلة من كون أكثر العالم يعطل فيه .

وهذه فكرة لم اسمع بها من قبل عن أي بلد إسلامي آخر .

جولة في بندر سري بقاون :

لم تكن هذه الجولة مقررة من قبل . ولكن الفقرة الأولى في هذا البرنامج لا تبدأ إلا بعد العاشرة فانتهزنا فرصة الوقت المتوفر وطلبت أنا وزميلي السفير أحمد المبارك من المرافقين أن نشغل وقت الفراغ في جولة على مدينة (بندر سري بقاون) أو على الأصح : مدينة (سري بقاون) فقط لأن معنى كلمة (بندر) عندهم : مدينة . وليس كما هو معروف لدينا في لغتنا العامية التي كنا نسمعها في القديم وبدأت اللفظة الآن تموت وهو أن كلمة (بندر) تدل على معنى ميناء ، أو إن شئت الدقة تدل على المدينة التي تقع على ساحل البحر .

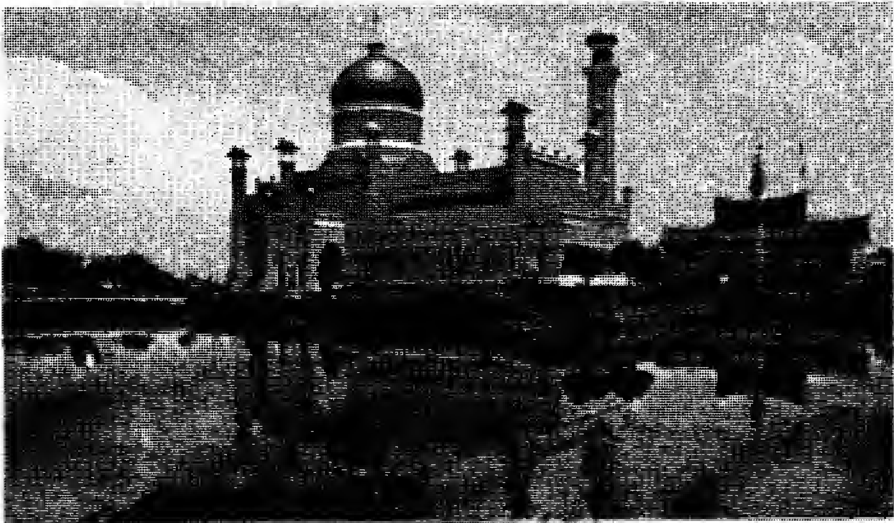
قال المرافق الأخ الشيخ عدنان بن زينل : إن المدينة صغيرة ويمكننا أن نلقي نظرة عليها في وقت قصير ، فقلنا : إذا كان لدينا وقت إضافي القينا فيه نظرة على بعض ضواحيها . انطلقت السيارة المكيفة في قلب المدينة الحديثة

فكان ما تكرر أمام عيني واستغربت له وجود الحروف العربية ظاهرة بحجم كبير على الأبنية والمحلات التجارية وسائر اللافتات ، وتأتي الإنكليزية تحتها بحروف أصغر ، وقد اخبرونا أن هذه هي الأوامر المرعية عندهم أن تكون اللغة الوطنية التي هي اللغة الملايوية المكتوبة بالحروف العربية هي الأكبر والأعلى في كتابة اللافتات .

وبعض الأبنية المهمة لم أَرَ لافتة بغير الملايوية عليها فتستطيع أن تقرأها وإن لم تستطع أن تفهمها إذا كنت عربيًا مثلي .

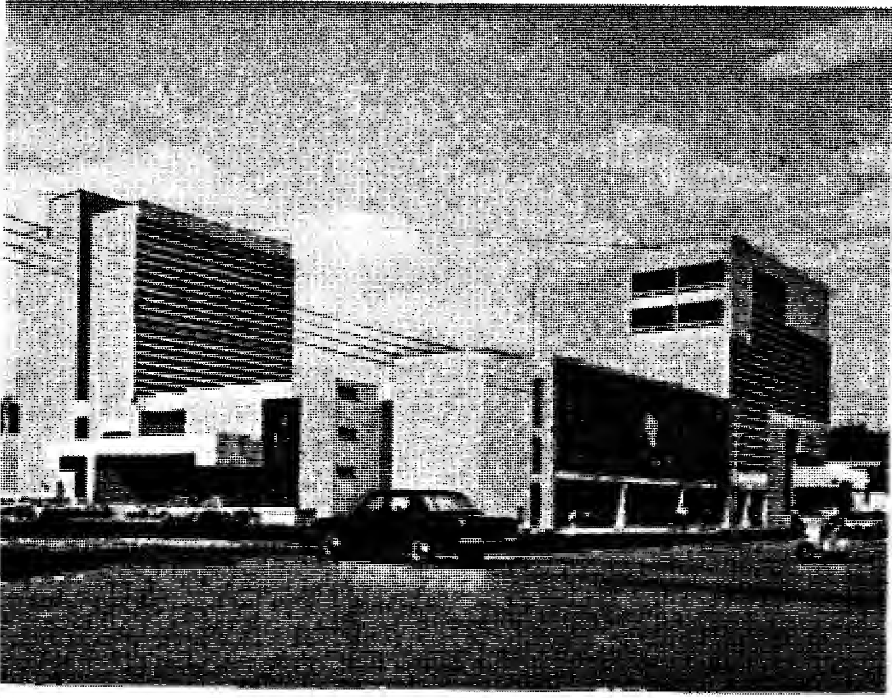
من ذلك أن البريد مكتوب عليه بالحروف العربية (كجابت بس افوس) وكجابت من الملايوية وبس : بوست بمعنى بريد بالإنكليزية . وكذلك افوس بمعنى مكتب .

وقد رأينا وسط المدينة نظيف الشوارع مكتمل الأرصفة ، معتنى به عناية تامة . ثم مررنا من زاوية أخرى بمسجد عمر علي سيف الدين ، ذي القبة الذهبية الجميلة تقابله رئاسة الشئون الدينية في بروناي التي تتوج مبناها قبة ذهبية أيضًا جميلة .



مسجد عمر علي سيف الدين كما يرى من جانب النهر

ثم مررنا بمنى الإذاعة فقال المرافق : إنها تذيع بالملايوية والإنكليزية وشيء قليل من الصينية .



مبنى الإذاعة في بروناي.

والنـــاس :

هذا عن مظاهر الأبنية والشوارع . وأما الناس فإن أسرع ما يلقي السائح عليه نظره في أي بلد يحل فيه هي مظاهر النساء في الشارع ذلك لأنهن موطن الغرابة في ألبستهن وقوامهن وطريقة عرض انفسهن إنْ تحلُّلا ، أو تَشدُّدًا فكان الانطباع عنهن من خلال من رأينا منهن أن لباسهن سابغ ساتر ، وأن تربيتهن الدينية تربية جيدة قوية بحيث أن اللائي يسرن من غير تغطية الرأس لسن العدد الأغلب فيهن ، وحتى في هذا العدد الأقل يكون بعضهن لسن من أهل البلاد الأصليين المسلمين . وأما الجمال على الوجوه فإن الذي رأيناه يدل

على أنهن من المستورات وربما كانت الجميلات مستورات أيضًا ولكن في بيوتهن ويكون ذلك بمعنى آخر للكلمة .

على شاطيء النهر :

نهر بروناوي الكبير يزيد من كبره اختلاطه بالبحر عند مصبه فيبدو كالخور من البحر ، وهو نهر إلاَّ أن مياهه ليست في عذوبة مياه النهر . ولابد لمن يزور عاصمة بروناي من أن يرى نهر بروناي لأن العاصمة مبنية عليه في الأصل إلَّا أن رؤيته من المدينة شيء والمضي سيرًا على شاطئه شيء آخر .

ظلت سيارتنا تسير مع شارع يحاذي النهر مما يسمى بالكورنيش وليس طويلاً فرأينا العجب على الضفة الأخرى من النهر ثم رأينا على الضفة المقابلة التي كنا نسير من جهتها أيضًا ، رأينا بيوتًا مبنية كلها في النهر ، أو قل : مقامة



جانب من النهر خلفه التلال الخضر

كلها على النهر ، لأنها كلها من الخشب وربما لا يستسيغ بعض الناس أن يعبر عن اتخاذ البيوت من الخشب بالبناء ، وإن كان صحيحًا من جهة اللغة ، ولكن الأفصح أن يقال : اتخذوا البيوت من الخشب .

وقد نهضت تلك البيوت على دعائم أو أَرْجُل متعددة غائصة في الماء تكون فوقها البيوت ممتدة على ضفتي النهر متصلة غير منقطعة . وإنك لتعجب حين



السلم الخشبي الذي يصعد به من النهر إلى المنازل

تراها على تلك الصفة مع أن الأرض واسعة عندهم ، وإقامتها على اليابسة أيسر من إقامتها على الماء . ولا أشك في أن للأمر علاقة بعادة قديمة للقوم في اتخاذ البيوت على صفحات الأنهار طلبًا للأمن ، أو هربًا من سباع ضارية ، أو أشياء مؤذية كانت توجد في البلاد وكان يمكن توقي شرها إذا كانت البيوت مقامة على الماء ، فاستمر الناس على تلك العادة حتى هذه الأيام .

ولم يكن الوقت يتسع للاقتراب من تلك البيوت النهرية لأن ذلك يتطلب وقتًا لا نستطيع أن نجده اليوم فأجلنا ذلك إلى حين .



واجهة المتحف القومي

المتحف القـومي :

تركنا شاطيء النهر البحري ـ إن صح التعبير ـ إلى ناحية ذات بيوت جيدة مؤلفة من طابقين في الأغلب ، وسقوفها من الصفيح على شكل السنام لكي ينزلق عنها المطر في موسمه الكثير . وفي حواشيها حدائق صغيرة من أظهر النبات الذي عرفته فيها الموز ولكن دون عناية كبيرة ، وأشجار كثيرة من أشجار النارجيل .

مررنا في طريقنا إلى المتحف بمقبرة السلطان ، أو على الأدق بمقبرة السلطنة

فهي مخصصة لدفن أفراد الأسرة الحاكمة من رجال ونساء ، وهي غارقة بل مختفية خلف حديقة واسعة جدًا ولذلك لا ترى القبور التي فيها من الشارع .



آيات قرآنية منقوشة في ضريح السلطان بلقيه

ثم وصلنا إلى المتحف القومي في بناء جيد المظهر ، بل جميل محاط بزهور منسقة جميلة وتقابله ربوة عالية خضراء قد تركت غُفْلاً حتى تعطي منظرًا طبيعيًا جذابًا .

في القاعة الداخلية من المتحف عند المدخل لوحات فنية مرسومة من أهمها صورة تمثل نهر (بروناي) والمنازل العجيبة على ضفتيه أو قل في جانبيه ، فهي على الماء وليس على اليابسة منها شيء . وقد اظهر الرسم الربى الخضر الجميلة خلفه .

ثم دخلنا إلى قاعات أخرى في إحداها رفوف قد جعلوا فيها طائفة من

الحشرات المحلية محنطة يخيل إليك إذا نظرت إليها من بعيد أنها ستطير ، وربما تتخوف منها وهي من الحشرات الاستوائية التي اشتهر بعضها بأنه خطير.

وفي قاعة أخرى رأينا منظرًا ليس مريحًا للنظر وإن كان مفيدًا في العلم وهو منظر طائفة من العقارب المحلية بأنواعها المختلفة وبأطوار حياتها المتعددة وكلها محنطة تكاد تفلت من إطارها فتسرع إلى لسع جارها ، مما جعل بعض الرفاق ينظر إلى قدمه ليرى أي نعلٍ يرتدي ، مرددًا قول الشاعر العربي :

إنْ عادت العقرب عُدْنا لها وكانت النَّعْل لها حاضرهْ

وهناك منظر كان مستكرها عند قومنا ولكن بعض الذين عاشوا مع قومٍ آخرين من الأوربيين وصاروا مثلهم قد اخذوا يستملحونه وإن كان غير مريح في النظر إلَّا أنه محمود الأثر في جسم آكِلِهِ كما يقولون ، وهو منظر السرطانات البحرية التي يسمى بعضها (أبو جلمبو) في مصر ، وبعضها يقال له (أبو مقص) في الحجاز وهي من المخلوقات التي تعيش كما تعيش السلاحف والضفادع بين البحر والبر أو بين الماء واليابسة.

ومن الطريف الذي أعادنا إلى عهد في بلادنا مضى وانقضى منظر الجراد المحنط بأنواعه التي أقلها الصحراوية وأكثرها أنواع من جراد الغابات والأماكن الندية مما لا يهاجر جماعات هائلة العدد كالجراد الصحراوي . وقد وضعوا معها ما كنا نسميه في لغتنا العامية النجدية (حصان القايلة) والقائلة : شدة الحر في منتصف النهار في الصيف ويسميه المصريون (فرس النبي) . وينبغي أن يلاحظ أن الفرق ضئيل بين كلمتي حصان وفرس في وصف هذا النوع الدقيق الرقيق من الحشرات التي تطير ولكنها ترى أكثر ما ترى واقفة وقفة المتأمل المفكر أو المتردد المتحير.

ثم شيء كريه المنظر أيضًا إلا لرجال البحث والعلم وهو منظر الخنافس و«الجعلان» ذات الرائحة الكريهة والسحن البغيضة.

ثم أنواع من السلاحف الصغيرة ذات الألوان الداكنة وهذه الحشرات والمخلوقات البحرية أو مخلوقات الغابات ليست من الكثرة ولا من الطرافة على ما هي عليه في بعض المتاحف الشهيرة ومنها متحف نيروبي عاصمة كينيا الذي أنشأه الانكليز عندما كانوا يظنون أنهم باقون في كينيا ذات المرتفعات الباردة والجو المعتدل.

ومن الأشياء الجيدة فيه أركان أضاؤوها اضاءة صناعية ووضعوا فيها بعض الحيوانات أو الطيور المحنطة كأنما هي تعيش عيشتها الطبيعية ومن ذلك أنواع من البوم التي يتشاءم بها العوام ، ونوع من الببغاوات الغريبة الكبيرة المناقير. ونوع من الغزلان الكبيرة التي تعيش في الأماكن المطيرة ولا نظير لها ـ فيما نعرفه ـ في البلاد الجافة وتسمى بالانكليزية (ديير).

وخصصوا ركنًا للقرود بأنواعها المختلفة من الصغيرة المعتادة وأغلبها حمراء اللون إلى قرد الملايو الضخم المشهور بشعره الأشقر المتهدل الذي يبدو وهو على وجهه كأنه اللحية السبطة على وجه الحكيم من قوم بدائيين.

المأثورات الإنسانية :

من هذه الحشرات والمخلوقات الحيوانية الموجودة في الطابق الأرضي من المتحف إلى الطابق الذي فوقه وأكثره مخصص للمأثورات الإنسانية ما كان منها حديثًا وهو الأكثر، وما كان منها قديمًا يُؤْثَرْ ، ولكن قدمه نسبي.

من ذلك قاعة كبيرة جعلوا فيها تماثيل التقاليد القومية الملايوية العريقة من لباس النساء القديم. وهناك ركن يمثل نساء غير مسلمات في المنطقة وبالذات في جزيرة سارواك التي هي جزيرة في دولة ماليزيا المسلمة ولكن المسلمين في تلك الجزيرة أقلية في العدد. وقد ظهرت النساء الكافرات أو لنقل : البدائيات ، فهن غير مسلمات ، ولكنهن أيضًا لسن من أصحاب الديانات التي تعادي الإسلام. وقد تركت الواحدة منهن ـ كما صوروها ـ نصف جسمها

الأعلى عاريًا لا يستره شيء .

ثم الحلي القديم وأكثره من الخرز والأصداف ومن أبرزها القلائد التي يتخذها البدائيون . وسيف قصير قديم ومنظره ليس فيه ما يلفت النظر ، ولكن سيفًا آخر ليس كذلك إذْ جعلوا قرابه ـ أي غمده ـ من الجلد المتهدل الشعر حتى يخيل إليك إذا رأيته وهو مغمد أنك تنظر إلى قطع من الجلد ذي الصوف.

وربما دل منظر هذا القسم الذي يضم أدوات الحرب القديمة على عدم تفنن القدماء من القوم في هذه الأدوات ، وربما دل أيضًا على عدم رغبتهم في القتال ، أو لنقل : إنهم ليسوا شعبًا عدوانيًا بطبيعته .

أو إذا شئنا التعبير بطريقة أخرى لا تمس مشاعر الذين يقاتلون حتى إخوانهم إذا لم يجدوا من يقاتلونهم غيرهم كالأعراب في الجاهلية ، نقول : إنهم ليسوا من ذوي التقاليد العريقة في الفروسية .

طبول المسجـد :

كان للطبل في بلاد الملايو شأن كبير حتى في المسجد فكانوا يستعملون قرعه للإعلان بدخول وقت الصلاة ليقوم مقام الأذان أو ليكون مع الأذان . وماتزال منزلة الطبل في المسجد لم تتغير في بعض أنحاء إندونيسيا وجنوب تايلند . وقد رأيته بنفسي في جنوب تايلند وذكرته في كتاب (مشاهدات في تايلند) إلا أن طلبة العلم في بعض بلاد المنطقة ومنها هذه البلاد (بروناي) حسبما أخبرنا به الأخ المرافق الشيخ عدنان زينل قد أبطلوا هذه العادة البدعية في النداء إلى الصلاة ، فأصبح طبل المسجد معروضًا في المتحف لمجرد التذكار لعهد دال عليه الليل والنهار ، فزال كما تزول البدع المستحدثة في الدين على أيدي المصلحين .

وقد رأينا في المتحف نوعين ، أحدهما : الكبير المرفوع على دعائم خشبية قوية والثاني : الصغير الذي لا يبعد كثيرًا عن الطبل الكبير المعتاد عندنا . ثم عرضوا أنواعًا صغيرة من الطبول المعتادة وبالقرب منها رماح صغيرة .

ومن الأشياء الملفتة للنظر في هذا المتحف لغرابتها منظر أوعية كبيرة على هيئة براميل من القش ، وإن شئت قلت : من الخوص والأعواد ، وإن لم تعرف أي خوص وأية أعوادٍ تكون . وقد أعدوها لخزن الأرز فيها ، فهو الغذاء الرئيسي الشعبي لهذه الجزر ، وخزنه لذلك يحتاج إلى عناية .

ومن المناظر المخالفة لطابع المتحف منظر محارب يحمل الدرقة وهي التي تقيه ضربات خصمه بالسيف . وتمثال من الخشب لفلاح قديم قد جلس القرفصاء فهو شبيه بتمثال (شيخ البلد) المشهور في المتحف المصري من مخلفات الفراعنة ، وهناك شيء مشهور ومعروف وهو القبعات الواسعة المنتشرة الاستعمال في عدة جزر من جزر الملايو ، وهي عريضة أو إن شئت : قلت : واسعة ، تكاد تكون أوسع من القبعات المكسيكية الشهيرة .

وهذا أمر طبيعي لأن البلاد واقعة في المنطقة الاستوائية حيث تسقط أشعة الشمس عمودية على الأرض فتؤذي الذين يتعرضون لها بصفة مستمرة ، ولا يكفي أذاها ويمنع من سقوطها على العين إلَّا مثل هذه القبعات العريضة .

وبقدر ما كان منظر القبعات بهيجًا لا سيما إذا تذكر المرء منا أن قبعات شبيهة بها لاتزال موجودة على رؤوس النساء من بني قومنا في جنوب المملكة العربية السعودية يستوي في ذلك سهلها (جيزان) وجبلها (أبها وما حولها) .

كان هناك منظر غير بهيج بل غير مريح للنظر والفكر ، ألا وهو منظر طائفة من السحرة عليهم أقنعة مفزعة قالوا لنا : إن أهل الغابات يستعملون هذه الأقنعة يزعمون أنهم يطردون بها الشياطين عنهم . ومثل ذلك تماثيل من الخشب يزعم الجهال أنها إذا وضعت في البيت لم يدخله الشيطان . وللآلات

الموسيقية نصيب في المتحف ، ولكنه غير كبير ربما كان ذلك لكون الموسيقى المعقدة الآلات ليست شيئًا مهما في حياتهم لا سيما عند عامة المسلمين الذين أغنى الله قلوبهم بالإيمان عن التماس المتعة بالألحان .

ومن المخلفات فيما يتعلق بالبيوت باب خشبي صغير منقوش بنقوش جيدة لا أعرف لها طابعًا فأُلحِقُها به ، وأوعية وأباريق من النحاس أظن أن أكثرها من صناعة الصين ، أو هو مستورد منها .

ومن أطرف ما رأيته مدفع صغير لا أدري أهو حقيقي أم هو مجرد تمثال لمدفع ولكنه صنع على هيئة تمساح فاتح فمه .

وأنموذج للحائك وهو يحوك الثياب ليس بعيدًا عما كان يوجد عندنا .

القاعة الطبيعية :

لعل من أثمن القاعات في هذا المتحف من ناحية فنية قاعة واسعة قد جعلوها تمثل حياة الإنسان في الغابة أو بقربها في القديم . ففيها أكواخ من الخشب مبنية تحت الأشجار وقد قالوا لنا : إن مثل هذا المنظر لا يزال موجودًا في الغابات النائية من بلاد الملايو . وقد مثلوا هذه البيوت بكل ما يكون معها في العادة فوضعوا الدجاج مع الديكة محنطة لا ينقصها لكي يكون المنظر حقيقيًا إلا أن تنفخ فيها الروح فتتحرك ، وهناك أشجار النارجيل الأخضر الصغير لا أدري كيف حافظوا على خضرته مع أنه في داخل هذا المكان المغلق .

وحتى الجداول أو مناقع المياه في هذا الذي يمثل جزءًا من قرية أو مجموعة من البيوت ، والجسر الذي فوقها من الخشب .

والواقع أن هذه القاعة هي من أنفس ما في هذا المتحف كله .

ومن النواقص في هذا المتحف أن الإيضاحات فيه مكتوبة باللغة الملايوية

وحدها من دون أن تكتب معها الإنكليزية لذلك لا يستطيع من هو مثلنا لا يعرف الملايوية أن يستفيد من المعلومات المكتوبة عن معروضاته الّا إذا كان معه مرشد من أهل البلاد . ولقد رافقنا الأخ الشيخ عدنان زينل وهو الذي كان يوضح لنا المكتوب عليها جزاه الله خيرا .

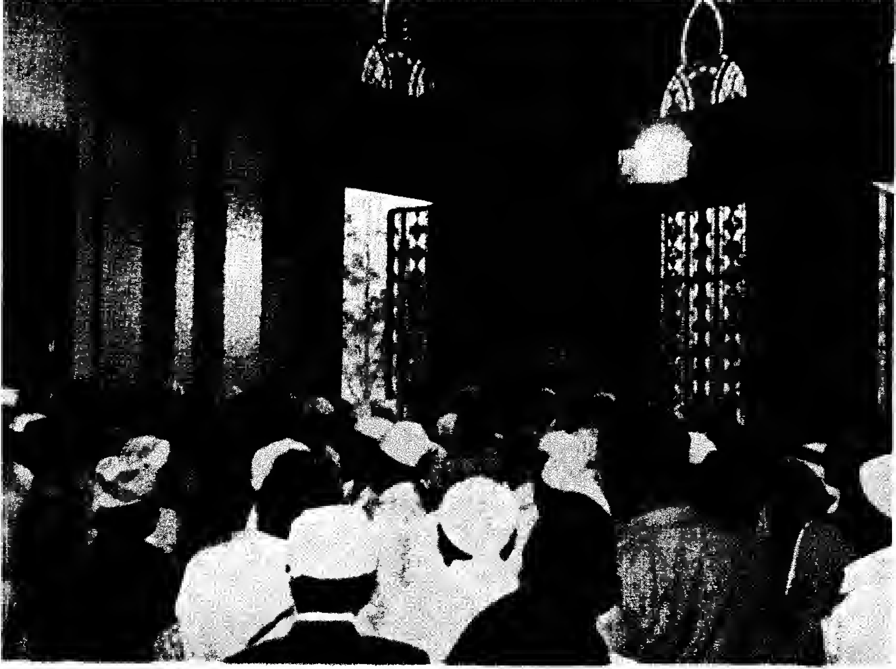
وكانت العودة إلى المدينة على ضفة نهر بروناي الذي تتفرع منه قناة صغيرة في اصطلاحهم وهي أكبر من نهر بردى في دمشق فتدخل جهة من المدينة .

وقد حاولنا أن نمر بسوق شعبي لنرى عامة الناس فيه ونرى المعروضات التي تنتجها البلاد غير أن مرافقنا الشيخ عدنان جزاه الله خيرًا فهم غير ما قصدناه فذهب بنا إلى حانوت كبير (سوبر ماركت) ليس فيه جديد ولا مفيد .

ورأينا طائفة من سائر الناس يتسوقون منه من رجال ونساء ، وكان ما لاحظناه أن طائفة من النساء لازلن يرتدين اللباس الوطني الجميل وهو قميص طويل يصل إلى قرب الركبتين شبيه بقميص الباكستانيات إلا أنه أوسع قليلاً تحته فوطة طويلة تضرب إلى الكعبين .

أما الرجال فإن أغلبهم في هذا السوق وغيره من الشوارع يلبسون اللباس العالمي المسمى بالإفرنجي المخفف المؤلف من قميص وسروال .

ولاحظنا هنا أيضًا أن سيارات الأجرة ليست كثيرة في الشوارع لأن البلاد ذات اقتصاد جيد بسبب عائدات النفط لذلك فإن كثيرًا من الناس يملكون سيارات خاصة فيقل عدد سيارات الأجرة بخلاف البلاد التي يقل فيها تملك السيارات الخاصة فتكون السيارات العامة وسيارات الأجرة والحافلات موجودة بكثرة .



السلام الكثيف عند الصلاة في المسجد (جامع عمر علي)

افتتاح المجلس المحلي للمساجـد :

من عادة المجلس الأعلى العالمي التابع لرابطة العالم الإسلامي والذي مقره في مكة المكرمة أن يفتتح مجالس محلية للمساجد في كل دولة أو منطقة يتيسر فيها ذلك تطبيقاً لنظامه الرسمي في هذا الأمر وهذا المجلس المحلي واحد من عشرات من هذه المجالس منتشرة في أنحاء من العالم وفي عدد من قاراته واليوم هو موعد افتتاح المجلس المحلي للمساجد في بروناي .

ومن أجمل ما صنعه الإخوة في بروناي أن جعلوا مكان الافتتاح في مسجد عندهم جميل جدًا بل هو أجمل مسجد في بروناي وبالغ بعضهم فقال : إنه أجمل مسجد في جنوب شرق آسيا ، وهو مسجد (عمر علي سيف الدين) وأنا أقول وقد رأيت المساجد الكثيرة في المنطقة : إنه جميل حقًّا ، وإن عدد المساجد المماثلة له في جمال البناء والذوق في التصميم والنوافذ والمداخل قليل .

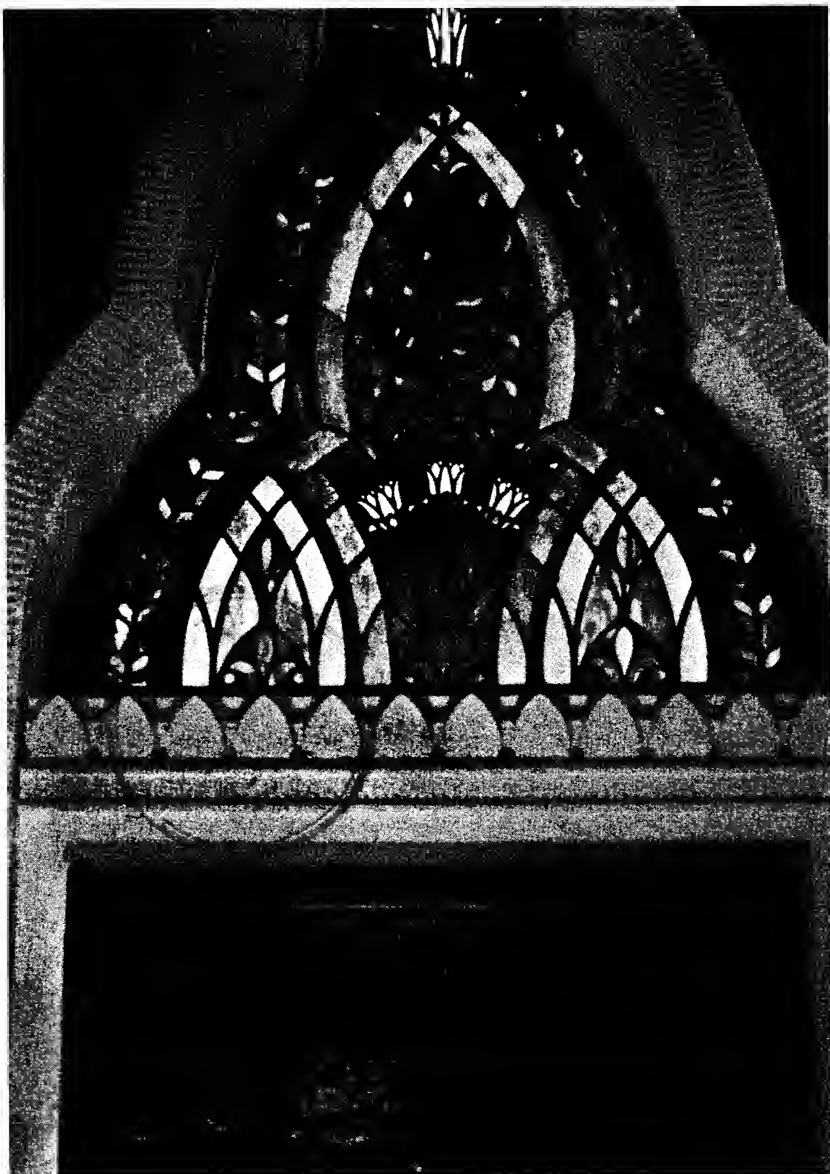
وكان موعد الافتتاح في الساعة الثانية عشرة إلا الربع أي قبل أن تقام صلاة الجمعة بساعة واحدة لأن موعد الصلاة هو الواحدة إلا ربعًا .



عند باب الجامع يلاحظ المنارة الذهبية البعيدة.

وصل الموكب إلى باب الجامع فوجدنا الإخوة في الإستقبال على رأسهم الشيخ (محمد زين بن سر الدين) رئيس الشئون الدينية ورئيس المجلس المحلي في بروناي ومعهم مصورو التلفزة والصحافة ووجدناهم قد أعدوا مكان الاحتفال في المسجد العظيم ببنائه ونظافته وأثاثه من دون إسراف بل هو الذوق الجميل والسخاء الظاهر على هذا البيت من بيوت الله تعالى .

ومن أظهر ما فيه أن مواضع معينة من حيطانه الداخلية مطلية باللون الذهبي الجميل متناسبًا مع الأنواع الأخرى في الطلاء ونوافذه الكبيرة المستطيلة ذات الواجهات الملونة على شكل هندسي عربي أقرب الأشياء إليه الأندلسي الجميل وهي شامخة في الحائط متناسبة مع طوله .



النافذة الزخرفية والآيات القرآنية الكريمة في جامع عمر علي سيف الدين.

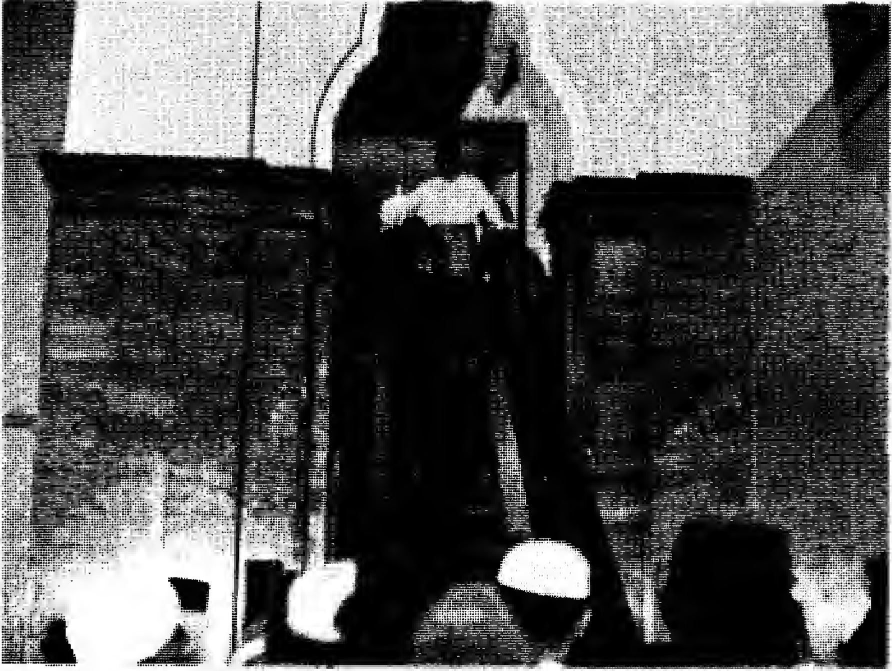
ومن الغرائب فيه بل التي لم أرَها في مسجد آخر غيره في العالم أن فيه سلمًا كهربائيًا متحركًا يصعد من المصلى الأرضي الرئيسي إلى شرفة فيه على هيئة طابق آخر يصلي فيها السلطان وغيره من الوجهاء في بعض الأحيان ، وما رأيت مثل

هذا السلم في مسجد من المساجد مع حاجة كثير من الجوامع إليه ، وعلى الأخص الذي يكون طابقه الثاني مرتفعًا ويكون كثير من المصلين فيه من كبار السن ، أو من ضعاف الصحة فيحتاجون إلى مثل هذا السلم الكهربائي المتحرك .



السلم الكهربائي في الجامع.

وقد استعدوا لتصوير جميع وقائع الإحتفال وأداء صلاة الجمعة للتلفاز فوجدناهم قد وضعوا المصابيح الكهربائية القوية في كل زاوية من زوايا



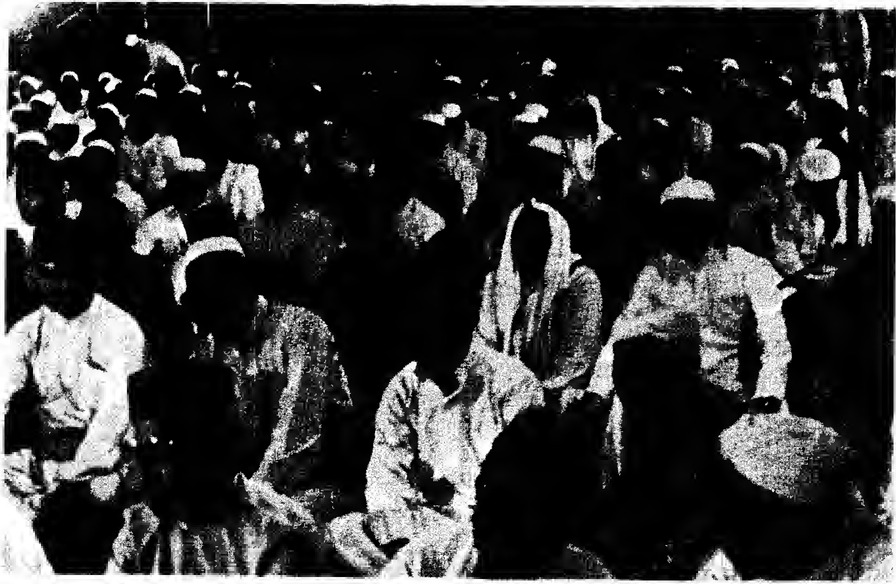
السلطان ينزل مع السلم المتحرك في الجامع

المسجد إلى جانب المراوح الكبيرة لأن الجو استوائي حار وإنْ لم يكن شديد الحرارة فهو أهون حرًا من مدينة جدة .

وقف مصورو التلفزة يصورون مشاهد وصول الوفد ، ثم الإحتفال بكامله وكذلك مصورو الصحافة ومصورون آخرون لا أدري لمن ينتمون إلا أن الذي لا أفهمه هو كيف يكثرون من هذه الصور التي لا نفع من الاكثار منها .

ليس في الجامع لباس لغير المسلمين :

من الصعب أن نقول : إن اللباس الفلاني لباس إسلامي ، أو إن اللباس الآخر ليس لباسًا إسلاميًا لأن الإسلام لم يأت بلباس مفصل معين دون غيره ، وإنما جاء بالأمر بالتزين باللباس وأمثاله كما قال تعالى ﴿ يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ وأمر أن يكون اللباس ساترًا للعورة ﴿ يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم ﴾ .



جموع غفيرة من المصلين.

لكن يمكن وصف بعض الألبسة بأنها من لباس المسلمين على ألا يكون لذلك مفهوم بأنها هي وحدها لباس المسلمين لأن للمسلمين في أوطانهم في الوقت الحاضر وكان الأمر كذلك أو قريبًا من ذلك في القديم أنواعًا متنوعة من اللباس ، فأي لباس يكون مقتصرًا عليه يوصف بأنه لباس المسلمين ؟ ألباس



الباكستانيين والهنود مثلاً ؟ أم لباس العرب في الجزيرة ؟ أم ثياب الجزائريين والمغاربة ، وفيها ما هو عربي أصيل كالبرنس والعمامة ؟ أم لباس الموريتانيين والنيجريين ؟ وهو في الأصل لباس الصحراويين .

على أية حال يمكننا أن نقول هنا وهذا ما نريد أن نقوله : إنني لاحظت أن هذا المسجد الذي امتلأ بعلية القوم ابتداء من رئيس الوزراء والمستشار الخاص للسلطان الذي قالوا : إن مقامه في الدولة لا يقل عن مقام رئيس مجلس الوزراء ، ومثل الوزراء وكبار الموظفين إضافة إلى سائر الناس لم أَرَ فيه شخصًا واحدًا يرتدي اللباس العالمي المسمى بالزي الإفرنجي ، بل كلهم جاءوا إلى المسجد الجامع باللباس الوطني الذي اعتاد المسلمون على لبسه ، وكلهم كان يغطي رأسه بشيء إما عمامة أو قلنسوة مع أن هذا يوم مشهود .

وهذا عجيب من أمرهم ذكرني بشيء مماثل في (بَاماكو) عاصمة دولة مالي المسلمة في غرب إفريقية فقد شهدت صلاة عيد الأضحى في الماضي القريب عندهم فلم أَرَ فيهم من لبس اللباس الإفرنجي ابتداء من رئيس الجمهورية إلى كبار الموظفين بل كانوا كلهم يرتدون اللباس الوطني .



في جامع عمر علي سيف الدين بعد انقضاء الصلاة

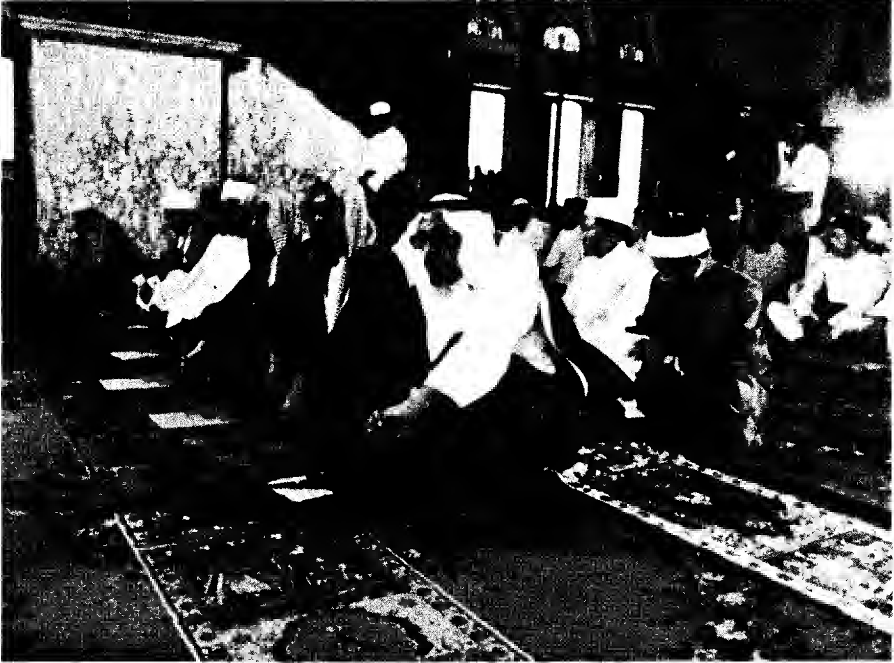
ومن الغريب أن الأشخاص الذين رأيتهم في الصف الأول يلبسون الزيّ الافرنجي في الجامع في مالي كانوا بعض السفراء للدول العربية التي يفترض أن تبتعد عن هذا الزي في هذا اليوم المشهود .

كنا في الصف الأول من مكان الإحتفال في المسجد . وكان معنا من كبار القوم في الصف نفسه رئيس الوزراء الحاج عبد العزيز بن عمر ، ومستشار السلطان الحاج عيسى بن إبراهيم ، ورئيس الشئون الدينية الحاج الشيخ محمد زين بن سر الدين ، ومفتى البلاد الحاج الشيخ إسماعيل بن عمر عبد العزيز .



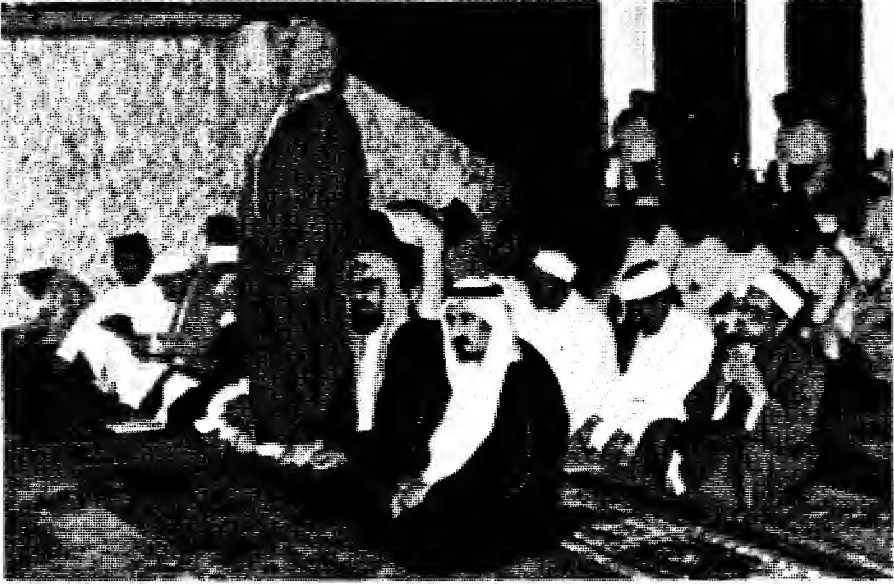
في الصف الأول من المسجد كبار رجال الدولة جاؤا إلى حضور الاحتفال في الجامع وهم من اليمين إلى اليسار رئيس القضاة وبجانبه داتو عيسى مستشار السلطان والسيد عبد العزيز رئيس الوزراء.

وكان يبدو عليهم كما يبدو على غيرهم من أفراد الشعب الهدوء والسكينة في المسجد بل الخشوع والخضوع . فلا تسمع كلامًا ولو همسًا فضلاً عن أن تسمع ضجة أو ضوضاء ، وحتى ما يكون في بعض المساجد من بعض المصلين من كثرة النحنحة أو من السعال وإخراج البلغم أو تنظيف الأنف لا يكاد يسمع منه



في جامع عمر علي سيف الدين الوفد في الصف الأول بجانب الوفد المفتي لمستشار السلطان فرئيس الوزراء.

شيء وربما كان سبب ذلك أن جو البلاد معتدل أو قل إنه قليل التقلب سواء في تعاقب الفصول ، أو في تقلب الطقس في اليوم الواحد بخلاف البلاد المتطرفة في طقسها التي ينعكس ذلك على صحة أهلها ، وبخاصة في صدورهم ، وفي مواضع التنفس عندهم .



الشيخ علي مختار يصلي النافلة قبل الاحتفال وعلى يساره المؤلف فالأستاذ أحمد المبارك.

ابتدأ الحفل بتلاوة آيات قرآنية كريمة من غلام في العاشرة من عمره اسمه محمد حسن بن جون وقد جاء إلىٰ مكان الإحتفال أمام الصفوف الأمامية وهو



الطالب محمد حسن بن جون يتلو القرآن في مستهل الإحتفال بالمجلس المحلي للمساجد.

يسير خاشعاً مطأطيء الرأس مع انحناء قليل إلى الأمام وتلك عادة لهم من عادات احترام الكبار في القدر أو السن. وقد ارتدى هذا الغلام الزيّ الوطني الكامل مع طربوش أسود يغطي الرأس والفوطة التي يلفونها حول وسط الجسم.

حتى يخيل إليك إذا سمعته أنك تستمع إلى أحد القراء المصريين. ولا غرو فقد أخبرونا بأنه الفائز الأول في مسابقة تلاوة القرآن لطلبة المدارس الدينية الابتدائية لعام ١٤٠٢ هـ وكان يقرأ من مصحف وقبل أن يبدأ التلاوة وضع المصحف على رأسه ووجهه وصدره ثم قبّله وابتدأ يتلو.

وبعد أن انتهى من التلاوة وضع المصحف أيضاً على رأسه ووجهه وصدره وقبله، ثم ترك المكان يطأطيء رأسه في انحناء وأدب، وهو يسير إلى مكانه في الصفوف الخلفية كما هي العادة عندهم.



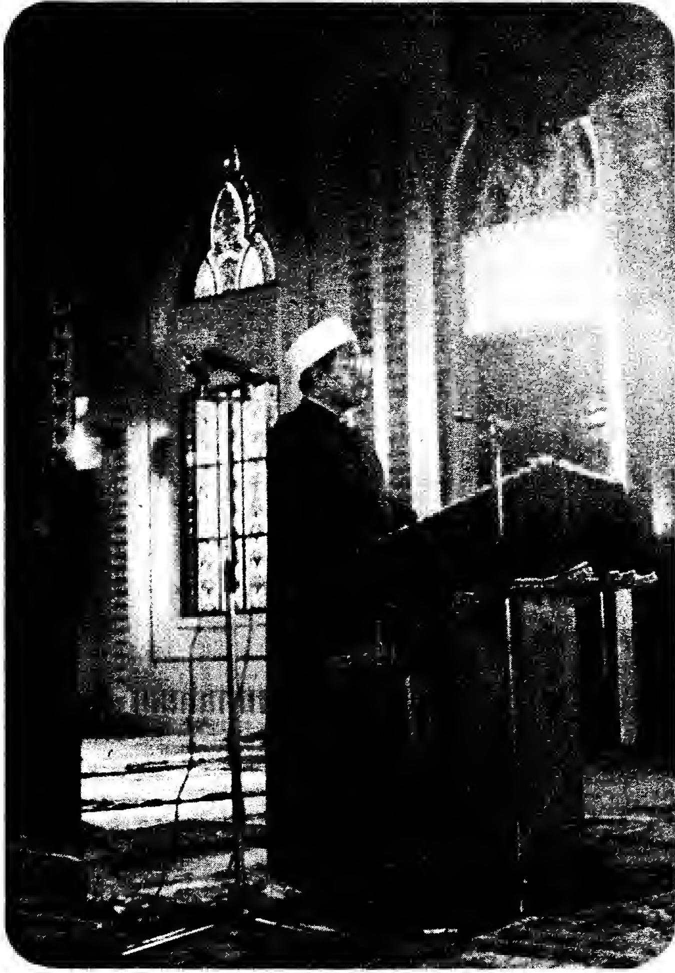
مستشار السلطان الحاج عيسى على يساره المفتي فأعضاء الوفد يتصفحون برنامج الاحتفال.

ثم نهض بعد ذلك رئيس الشئون الدينية ورئيس المجلس المحلي للمساجد في بروناي الشيخ محمد زين الدين وكان يرتدي الملابس الأزهرية، ولم أر غيره من يرتدي الملابس الأزهرية إلّا المفتي الشيخ اسماعيل بن عمر بن عبد العزيز.



أعضاء الوفد يصغون إلى كلمة الشيخ محمد زين

ألقى الشيخ محمد زين الدين كلمة مكتوبة بالعربية وكان ينطق بالعربية كما ينطق بها أبناؤها من دون لكنة أو عجمة، وهذا شيء عرفناه في كلامه أثناء الإجتماعات التي تمت بين الوفد وبينه منذ وصوله، ثم أعاد الكلمة نفسها باللغة الملايوية.



رئيس الشئون الدينية محمد زين يلقي كلمته في الجامع

قال الأخ الشيخ محمد زين الدين في كلمته:

إنها فرصة لمشاهدة واقعة من الوقائع الهامة في تاريخ هذا الوطن الذي هو جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي الكبير، ويسعدنا أن يكون معنا عدد من إخواننا الذين قدموا إلينا من بقعة حبيبة إلى قلوبنا وهي (مكة المكرمة) منبع الإسلام وقاعدته ثم قال: ونحن إذ نشكر الوفد على هذا الشعور الدافع إلى خدمة الإسلام والمسلمين بغض النظر عن المسافات البعيدة وذلك بدافع

الحرص الشديد على دعم القيم الإسلامية ويتمثل في قوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) إلى أن قال:

لقد وضعت السلطنة أغراض المجلس المحلي للمساجد بسلطنة بروناي تحت الدراسة والبحث في اجتماع المجلس الإسلامي لسلطنة بروناي نظراً إلى وضع السلطنة كدولة إسلامية وديانتها هي الإسلام وقد تكرم السلطان بتشكيل المجلس كما أفادت رسالة صاحب الجلالة المؤرخة في ١٦/٢/١٩٨٣.

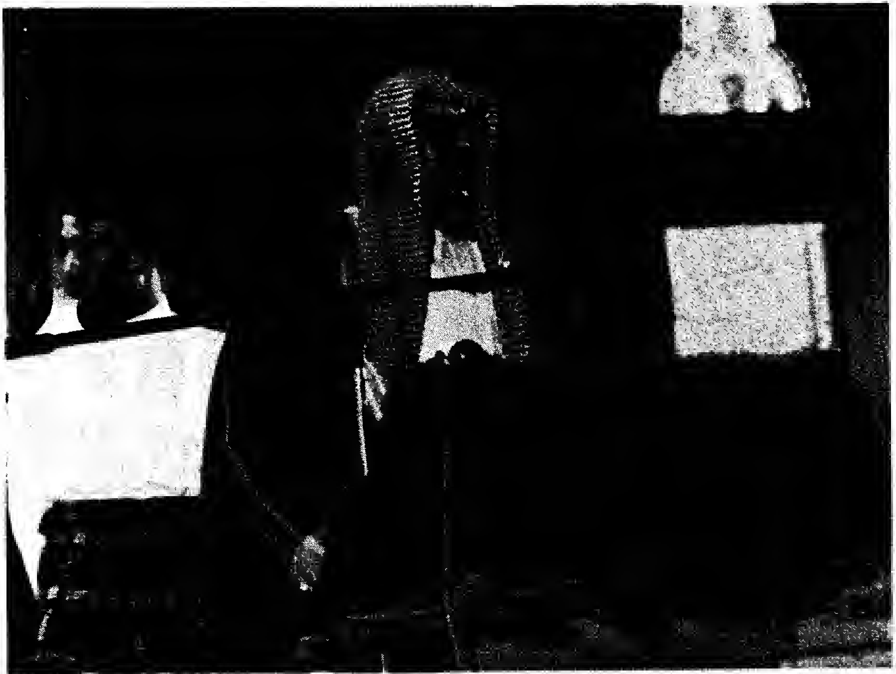
ثم قال: ونحن في بروناي بانعقاد هذا اللقاء التاريخي لا بد وأننا نقوم بواجبنا المقدس في إنجاح الدعوة الإسلامية عامة، ورسالة المساجد خاصة. وإن صاحب الجلالة السلطان وحكومته قد قامت بمشروعات كثيرة في مختلف النواحي المتصلة بالمساجد بما لا يقل عن ثلاثة عشر مليون دولار.



مقدمة القوم الذين حضروا في المسجد والوفد في الصف الأول المؤلف على يمينه الشيخ علي مختار وعلى يساره الأستاذ أحمد المبارك.

ثم نهض زميلنا الشيخ علي مختار الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد فألقى كلمة المجلس الأعلى للمساجد في هذه المناسبة السعيدة فكان مما قال: بعد إبلاغ تحيات الشيخ محمد بن علي الحركان الأمين العام للرابطة: إن افتتاح المجلس المحلي للمساجد في بروناي مع نظرائه من المجالس المحلية للمساجد في آسيا إنما لغرض إعادة رسالة المسجد إلى ما كانت عليه في صدر الإسلام هذا هو الهدف الأساسي الذي أنشىء من أجله المجلس الأعلى العالمي للمساجد القارية والمحلية للمساجد في جميع أنحاء العالم.

ويمكن لنا أن نستعرض في إيجاز أهداف المجلس الأعلى العالمي للمساجد والمجالس القارية والمحلية ووسائل تحقيق هذه الأهداف التي تتلخص في الآتي:



الشيخ علي مختار يلقي كلمته.

١ ـ وضع الدراسات والخطط العامة لإحياء دور المسجد في التوجيه والتربية ونشر الدعوة وتقديم الخدمات الاجتماعية وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية وإصدار المجلات وإعداد الكتيبات المفيدة في ذلك.

٢ ـ تكوين رأي إسلامي عام في مختلف القضايا والموضوعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة.

٣ ـ محاربة الغزو الكفرى الهدام والسلوك المنحرف في حياة المسلمين وبناء الشخصية الإسلامية فكراً وعقيدة وسلوكاً.

٤ ـ العمل على تأكيد حرية الدعاة وأئمة المساجد والخطباء في الدعوة إلى الله والتبليغ على نهج الكتاب الكريم والسنة المطهرة، والعمل على حمايتهم من أي اضطهاد وتمكينهم من أداء رسالة المسجد.

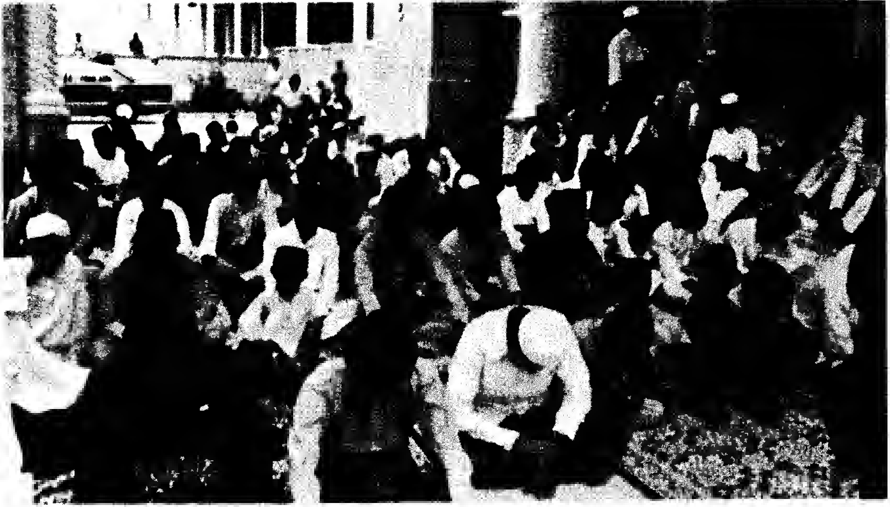
٥ ـ دعوة الغرباء عن الإسلام إلى المناقشة العلنية أو الخاصة بالتي هي أحسن.

٦ ـ حماية المساجد من كل اعتداء يقع عليها وعلى ممتلكاتها ومن أي انتهاك لحرماتها وإعادة المساجد التي حولت عن طبيعتها إلى أوضاعها الأصلية.

٧ ـ الحفاظ على الاوقاف الإسلامية والسعي لاسترجاع ما عطل أو صودر وتنميتها.

٨ ـ الدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية في أداء شعائرهم الدينية في المساجد بحرية مطلقة في إطار العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٩ ـ المحافظة على قدسية المساجد وتطهيرها، والعناية بها، من حيث التعمير والإصلاح وإعادة بنائها عند الحاجة.



ولعلنا لا نضيف جديداً إذا ذكرنا أن المسجد في عهد الرسول ﷺ وصحابته الكرام كان هو المكان الذي تصرف فيه شئون الدولة، وترسم سياستها ومنه تبعث السرايا والجيوش الإسلامية الفاتحة كما كان منتدى أدبياً يتبارى فيه الشعراء والأدباء وكان الجامعة التي تخرج العلماء والمدرسة التي تخرج الأجيال مسلحين بأقوى سلاح يواجهون به مشاكل الحياة ألا وهو الإيمان القوي الصادق.



بعض الذين حضروا لصلاة الجمعة في وسط المسجد



امتلأ المسجد بالحضور

وبعد الفراغ من هذه الكلمات كان الاحتفال قد انتهى. وكان المسجد قد امتلأ بالمصلين. فأذن الأذان الأول ولم نر المؤذن إذْ كان في مكان آخر من المسجد. وإنما سمعناه من مكبرات الصوت المنتشرة بشكل جميل ومنظم في المسجد.

كان يلقي الأذان وأنا أعتقد أنه مصري من القراء لأنه يلفظ الكلمات بصوت ضخم، ويخرج الحروف من مخارجها العربية الصحيحة ومع ذلك يظهر عليه الخشوع واستحضار المعنى للأذان. وكان المؤذن يؤذن والعمال يرفعون من أمام الصف الأول من الاجتماع الذي فيه الوفد وعليه القوم منصة الخطابة ومراوح كهربائية إضافية، وسماعات تكبير الصوت.

ومما يجدر ذكره أن المؤذن قد تلا الآية الكريمة: «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا آيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» ثم بدأ بعدها الآذان.

وهذه بدعة مستحدثة لا يجوز فعلها كما لا يجوز وصل الأذان بشيء من الصلاة على النبي ﷺ أو الدعاء كما يفعل بعض المؤذنين في بعض الأمصار الإسلامية بحيث أصبح الجاهل بالأمر يظن أن ذلك جزء من الأذان لا يتم الأذان إلّا به.

وبعدَ الأذان الأول كان الدعاء، ثم كلمة بالملايوية سمعتهم أثناءها يذكرون أسماءنا وأعتقد أن ذلك في معرض التعريف بالوفد للمصلين اللذين لم يحضروا إلى المسجد إلا أثناء الاحتفال.

الخطيب الذي لم نره :

قلتُ إننا سمعنا الأذان ولكننا لم نر المؤذن، مع أننا كنا في الصف الأول وأقول أيضاً: إن الخطيب بدأ الخطبة عربية فصيحة صحيحة استهلها بالآية الكريمة (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) فكانت براعة استهلال، دار حولها المقال، إذ خصّص خطبته كلها لأهمية المسجد ولفضل المساجد وعمارتها وبناء مسجد الرسول ﷺ وذلك لمناسبة الاحتفال بافتتاح المجلس المحلي للمساجد في بروناي.

وقد كانت الخطبة مبسوطة وافية، ولم تكن مطولة طولاً مملاً. وقد أعادها الخطيب باللغة الملايوية فيما فهمناها.

هذه هي الخطبة الأولى. أما الخطبة الثانية فكانت كلها بالعربية قصيرة مسجوعة لا شك في أنها مستلة من أحد كتب الخطب المنبرية القديمة إذْ ذكرتني بالخطبة الثانية التي طالما سمعت خطيب المسجد الجامع في بلدتي بريدة يخطب بها عندما كنت طفلاً وعلى مر السنين.

وعند إقامة الصلاة تقدمنا إلى الأمام فكنا في صدر المسجد كأنه المحراب ولكنه واسع على هيئة جزء أمامي متقدم من المسجد يتسع الصف فيه لحوالي

خمسة عشر مصلياً، وليس هناك امامنا محراب بالمعنى المفهوم عندنا لكلمة محراب التي تعني المكان الذي لا يتسع إلا للإمام، أو رجل أو رجلين معه. ولكن هذا الجزء المتقدم من المسجد اعتنوا به عناية خاصة من ناحية النقش والتزيين وزخرفة ما حول النوافذ منه. ثم تقدم الشيخ يحيي بن ابراهيم مساعد رئيس الشئون الدينية فأمَّ الناس لصلاة الجمعة وفي هذه المرة كنا نراه بل كان أمامنا وكنا أقرب المصلين إليه إذ نحن في الصف الأول الذي يليه.

وقد عرفنا أن صاحب الجلالة السلطان وكبار أسرته قد حضروا الصلاة ولكنهم في مكان عال أشبه بالشرفة منعزل عن الطابق الأرضي في المسجد.



المصلون يغادرون المسجد

المصافحة الكثيفة :

انتهت الصلاة وقد لبثنا في مكاننا من دون كراسٍ أو أي شيء مما يتكيء عليه الجالس طيلة الاحتفال والخطبة، ولكننا لم نشعر بأي شيء من التعب أو الإرهاق لأن المتعة الروحية، والأنس العظيم الذي أحسسنا به هنا وغمرنا به منظر إخواننا الكرام هؤلاء أنسانا كل تعب أو ملال.



عند انقضاء الصلاة في المسجد

وكذلك القول في المصافحة فقد أقبل كل المصلين في المسجد تقريباً يسلمون على الوفد ويصافحون وعددهم كبير. غير أن بعضهم لا يقتصر على المصافحة بل يلتزم بالصدر ويعانق على الخد والعنق، أو أي شيء يمكنه أن يصل إليه لأن زحام الأخوة على مصافحتنا كان شديداً.

لقد حاول بعض المرافقين أن يثنيهم عن ذلك، أو على الأقل أن يقلل من

هذه المصافحة الكثيفة فطلبنا منه ألا يفعل. إذْ أن عملهم هذا هو محبة لله وفي الله. ونحن نشعر نحوهم مثلما يشعرون نحونا.

ولقد أخبرني زميلي السفير أحمد المبارك أنه فطن إلى أن بعض الإخوة لا يكتفي بالمصافحة مرة واحدة، بل يذهب ثم يعود مع طائفة أخرى، وقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً. جزاهم الله خيراً.

الغداء في دار العلم :

بعد الغذاء الروحي الذي أمدنا به هذا الاحتفال الجليل في هذا المسجد العظيم توجه الموكب إلى الغداء في كلية المعلمين التي تخرج معلمي الدين الإسلامي واللغة العربية وهي الكلية التي سبق أن زرناها وأدينا فيها صلاة الظهر أمس. وهذا الغداء بدعوة من رئاسة الشئون الدينية التي أبى رئيسها الشيخ محمد زين الدين حفظه الله إلّا أن يكرر مكارمه وافضاله على الوفد حتى كانت مآدبها ليلية ونهارية.



مفتي بروناي يصافح الأستاذ أحمد المبارك عند الوصول إلى مكتبة كلية المعلمين.

فوجدناهم قد نصبوا الموائد، وأعدوا قدور الطعام مليئة بما لذ وتنوع من أطعمتهم ذات المذاق الخاص والنكهة المميزة والتي لطعام البحر فيها نصيب كبير.



مأدبة الشئون الدينية في مكتبة كلية المعلمين.

وقد اختاروا موضع المائدة في مكتبة الكلية فكانت الأفواه تأكل، والعيون تنظر بل تسعد بالنظر إلى الكتب والمطبوعات الموجودة في خزائن نظيفة مرتبة على حوائط القاعة الكبيرة وكان هناك شيء جميل أخذ به هؤلاء الكرام وهو أن يفرقوا أعضاء الوفد على موائد الأكل فكل عضو يكون على مائدة منفردة يحيط به طائفة من الإخوة من العلماء في البلاد يحدثونه بلغته العربية، ويبحثون معه كل ما يريد أن يسمعه من أمور تهمه أو تهمهم كما فعلوا في عشاء البارحة.



بعض الأخوة البروناويين والزميل المبارك في أيمن الصورة في مكتبة كلية المعلمين.

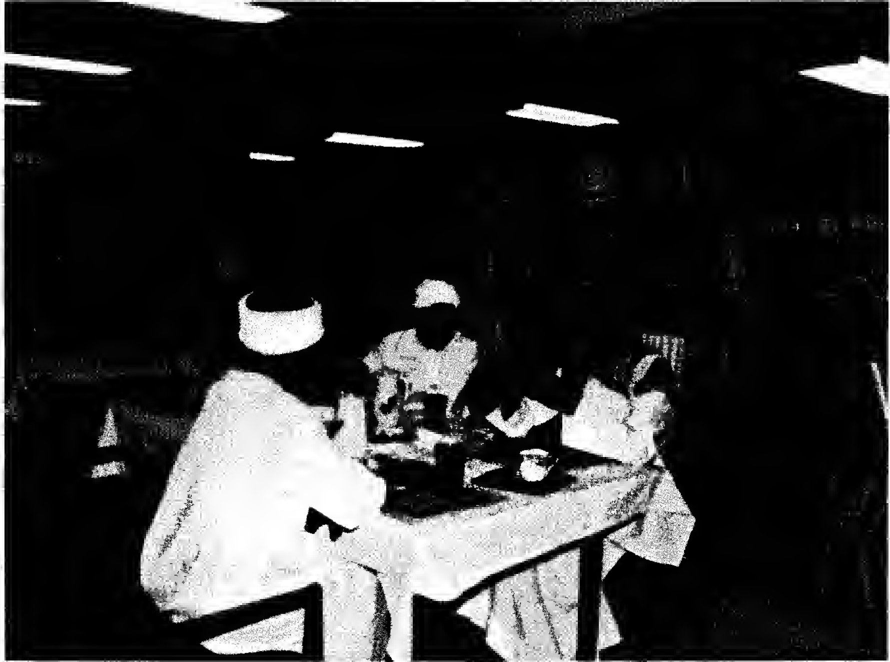


المبارك في مأدبة غداء كلية المعلمين الدينية على مائدة منفردة مع الأخوة البروناويين



غداء الشئون الدينية في كلية المعلمين.

ومن اللطائف في هذا القاعة أنهم قد علقوا سجادة مكتوباً عليها أسماء الله الحسنى وكتبوا الآية الكريمة عند باب الخروج من القاعة: «إنَّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد» وقال أحدهم: إن كتابة هذه الآية الكريمة من باب التفاؤل بالعودة مرة أخرى فقلنا: نعم لذلك، وشكراً.



في مكتبة كلية المعلمين على يميني مساعد رئيس الشئون الدينية.

على مائدة رئيس الوزراء:

ليس بين غداء هذا اليوم وبين العشاء فقرة رسمية أخرى من فقرات البرنامج فانتهزت الفرصة وأمضيت الفترة كلها في الفندق في الكتابة إلَّا أننا فعلنا كما فعلنا أمس من الاجتماع لصلاة المغرب والعشاء في غرفة أحد أعضاء الوفد ثم تدارس الأمر فيما يتعلق بالنتائج التي استخلصناها من أحداث اليوم.

ولكن العشاء هذه الليلة سيكون على مائدة رئيس الوزراء ومثل هذه

المأدبة فرصة للحديث مع كبار القوم في أحاديث رئيسية وجانبية فيما يتعلق بمهمتنا التي قدمنا من أجلها وفي غيرها من أوجه التعاون الإسلامي.

واستقبلنا رئيس الوزراء الحاج عبد العزيز بما عهدناه منه من تواضع ولطف وكان مصورو التلفزة قد سبقوه إلى استقبال الوفد رغم كونه كان يقف عند الباب الخارجي ترحيباً بضيوفه.

وقد أقام المأدبة في المقر الرسمي لرئيس الوزراء وذكر أنه مكان للاجتماع والقاعة التي ستكون فيها المأدبة والمكتب الملحق بهما كل ذلك ملحقاً بمكتب رئيس الوزراء. وعرفنا من غيره أن هذا المكان المكتمل ملك للدولة يسكن فيه رئيس الوزراء مادام على تلك الوظيفة، فإذا تركها، أو تركته، ترك أيضاً هذا المكان ليشغله خلفه. وهذا شيء حسن رأيت له مثيلاً في بعض الدول الإفريقية غير الغنية التي خصصت للوزراء منازل على هيئة دارات (فيلات) جيدة يسكنون فيها ماداموا في الوزارة، ثم يخلونها إذا تركوا الوزارة. وذلك أن الوزراء في تلك البلدان رواتبهم ليست كبيرة وهم يكونون في الغالب من مستوري الحال لغلبة الفقر على البلاد، ومن الصعب على الوزير أن يستأجر مسكناً حديثاً لائقاً به، بل هو يعجز عن ذلك، كما أن بقاءه في البيت الذي يسكنه من قبل يصبح غير لائق بمركزه.

لقد حضر المائدة عدد من علية القوم وكبار الموظفين ومنهم مستشار السلطان (عيسى) والمفتي، ورئيس الشئون الدينية، وشخص لم أره من قبل جلس بجانبي وأخذ يكلمني بالعربية بمقدار لا بأس به من المعرفة، فظننت أنه قد تعلم في أحد البلدان العربية ولكنه نفى ذلك وقال: إنه تعلم العربية في بلاده (بروناي) وإنه تعلمها بنفسه، ما عدا قراءة الحروف التي كان قد تعلمها في المدرسة وهو صغير لأنها هي حروف اللغة الملايوية واسمه محمد جميل وقد تبين فيما بعد أنه أخ أكبر لرئيس مجلس الوزراء كما تبين لي أنه رجل ذكي محب للبحث وقال لي أحد الحاضرين: إنه يعرف عدة لغات منها العربية واليابانية



وجهاء من بروناي بملابسهم الوطنية خلال إحدى الحفلات التي أقيمت للوفد.

والإنكليزية، ولكن المهم بالنسبة اليّ أنني وجدت له اهتماماً بالناحية التاريخية، فسألته عن أشياء تتعلق بتاريخ الأسرة الحاكمة وأصلها.

الكلام على الطعام:

كانت مائدة رئيس الوزراء واحدة ممتدة ومنحنية لئلا يبعد المدعوون عن صدر المائدة وقد نوعوا المقاعد فيها تنويعاً حينما لم يفرقوها إلى موائد متعددة، كما فعلوا في التي قبلها. وكانوا في كل مآدبهم يكتبون بطاقة فيها اسم الشخص على المائدة لا يجلس فيها إلّا هو كما هي العادة في المآدب الرسمية التي تتمسك بالقواعد المرعية في هذا الشأن.

فكان جليسي رئيس الشئون الدينية (محمد زين الدين) وكان مقابلاً لي على المائدة الأخ محمد جميل هذا فكانت فرصة طيبة للاستزادة من المعلومات

عن هذه البلاد لأن كلا الرجلين محب للبحث صبور على أسئلة الفضوليين أو الذين قد يعتبرهم بعض الناس بمثابة الفضوليين أمثالي.

ومن لطائف ما صنعوه على المائدة أنهم وضعوا قوائم صغيرة على المائدة فيها بيان بما يقدم من طعام إلّا أن تقديم الطعام كان على أيدي الخدام، وليس بالاختيار من أوان منصوبة، وقد رتبوا فيها الأطعمة ترتيباً حسب تقديمها.

وهذا أمر حسن لأنه يبين للشخص ما سيأكله مما سيقدم له، ولئلا يكون قد اكتفى من طعام قبل أن يقدم إليه ما بعده، أو أن يكون قد ترك ما قدم إليه على أمل أن يأكل مما بعده ويكون الطعام قد نفد.

بعد منتصف الليل :

عدت منشرح الصدر من مائدة رئيس الوزراء لما شعرت أنني قد ظفرت به من معلومات قيمة وكنت ذهبت إليها منشرح الصدر أيضاً لأنني كنت قد أنجزت قدراً مما كنت أريد إنجازه من كتابة، ثم تكلمت مع أهلي في الرياض وأخبرتهم عن الموعد المتوقع لعودتي. وذلك بعد أن اطمأننت على أخبارهم.

وقد قدرت أن يكون نومي هنيئاً هذه الليلة. غير أنه ما أن انتصف الليل حتى شعرت بألم في بطني نبهني من النوم ثم أخذ يشتد فتناولت دواء معي مطهراً للأمعاء ولكنه لم يفد. وعند الفجر اشتد بي المغص وأصبح إسهالاً شديداً وقيئاً حتى صرت لا أستطيع أن أصل إلى الحمام إلا بصعوبة.

وخشيت أن يكون هذا مرضاً خطيراً من أمراض البلاد المطيرة من نوع الهيضة (الكوليرا) مثلاً، ولكني لم أستطع الوصول إلى غرفة صاحبيّ ولا أريد أن أزعجها إلّا أن السفير أحمد المبارك بادر مبكراً كعادته يسألني عن الفطور والبرنامج، فأخبرته بما أعانيه فاهتم هو والسيد علي مختار جزاهما الله خيراً وأسرعا بأن طلبا من الفندق أن يرشدهما إلى إحضار طبيب بصفة عاجلة، وجاء

(الدكتور) لأنه كان نازلاً في الفندق وأخبرونا أنه هندي من أهل سنغافورة، وأنه يأتي إلى بروناي بين فترة وأخرى فيقيم فيها أسبوعاً أو أسبوعين لمعالجة السلطان وأسرته.

حضر الطبيب وجس النبض بيده وسألني أمعك حمى؟ فقلت: لا أدري إلّا أنني أشعر ببرد شديد، وقد تغطيت بكل ما في الغرفة بعد أن أطفأت المكيف فلم أشعر بالدفء، فوضع يده على جبهتي وقال: ليس عندك حرارة.

ولم يقس ضغط الدم مع أنه لازم في هذه الحالة وخاصة حالات الإسهال الشديد. ثم قال: إن الداء في المعدة وإن سببه أحد أمور ثلاثة، وهي أن تكون أكلت طعاماً فيه فلفل كثير. أو أن يكون ذلك بسبب إختلاف الطقس. أو أن يكون مرجعه إلى التعب بأن تكون قد أتعبت نفسك كثيراً. ثم اتصل بالهاتف بطبيب مشهور وقال له: أرجو أن تحضر إلى الفندق لأنني لم أتأكد مما يشكو منه المريض ثم ذكر له أعراض ما لديّ والتفت إليَّ وقال: يقول لك الطبيب أكثر من شرب السوائل لتعوض جسمك عما فقده منها. فقلت في نفسي (هذي ما تبي مطوع) ثم أعطاني حبوباً قال: إنها لمكافحة الإسهال وأخرى لتخفيف الألم وتركني. ولم يتركني الإسهال إلّا عند الظهر. فأرسلوا طبيباً إنكليزياً ماهراً فحصني فحصاً كاملاً وقاس كل ما يحتاج إلى قياس ثم أمرني بعدم تناول ما كتبه الطبيب الهندي، وأعطاني أدوية أخرى، وأمرني بعدم تناول الطعام إلّا عصير البرتقال والماء إلى يوم غد.

مأدبة مستشار السلطان:

لم أستطع حضور فقرات البرنامج المعد للوفد رغم حرصي على ذلك بسبب هذا المرض المفاجىء. ومن ذلك زيارة المدرسة الإسلامية العربية، والمدرسة الدينية الملايوية، وحضور اجتماع عمل وبحث مع أعضاء المجلس المحلي للمساجد للبحث فيما يتصل بالمساجد بصفة خاصة وللبحث في أمور إسلامية عامة.

وقد أسفت لذلك أسفاً شديداً. وعندما حان موعد الذهاب إلى مائدة مستشار السلطان في الساعة الثامنة مساء وكنا بحاجة إلى عقد اجتماع مع رئيس مجلس الوزراء والمستشار فيما يتعلق بمهمتنا. وقد تماثلت للشفاء ذهبت مع زميليّ وعقدنا بالفعل اجتماعاً خاصاً مغلقاً لم يحضره غير رئيس الوزراء ومستشار السلطان وأعضاء الوفد إلّا الشيخ يحيي بن إبراهيم الذي تولى الترجمة.

تكلمنا في هذا الاجتماع عن مهمتنا في بروناي وأنها ليست مقتصرة على المشاركة في افتتاح المجلس المحلي للمساجد كما فهم بعض الإخوة بل هي تتعلق بمسألة هامة جداً وهي عرض المساعدة من المملكة العربية السعودية إلى حكومة بروناي فيما ستقدم عليه من العمل بأحكام الشريعة الإسلامية، ونقل ما تريد حكومة بروناي منا أن نبلغ به حكومتنا، فشكروا لنا ذلك وقالوا: إننا سنرسل وفداً يرأسه رئيس القضاة إلى المملكة العربية السعودية وقد أبرقنا إلى رابطة العالم الإسلامي في مكة أن تسهل مهمة الوفد عند وصوله إلى المملكة بأن تُعرِّف به وزارة العدل السعودية وتعينه في الحصول على ما يحتاج إليه.

وإننا نعتبركم في المملكة العربية السعودية أشقاءنا الكبار الذين نُجلهم ونحترمهم ونعتبرهم القدوة الحسنة لنا في هذا السبيل. وإلى جانب عبارات أخرى من عبارات المجاملة الرقيقة.

وعندما قمنا إلى مائدة الطعام رأيناهم فعلوا ما فعلوه في أكثر المآدب التي حضرناها وهو أن يفرقوا أماكن أعضاء وفدنا على القاعة فكان أن وضعوا مكاني بجانب رئيس الوزراء وبعده الشيخ محمد زين الدين رئيس الشئون الدينية وإلى يميني شخص لم أعرفه ولكنه من كبار القوم.

كان الحديث مع رئيس الوزراء مباشراً بالإنجليزية في بعض الأحيان ومترجماً للعربية بواسطة الشيخ (محمد زين الدين) وقد زاد يقيني من صلاح هذا الرجل في دينه ورأيت فيه الخلق الرفيع.

وكان مما قاله رئيس الوزراء فيما يتعلق ببروناي: لقد حرمنا تقديم الخمر، أو حملها على طائرات خطوط بروناي ومن العجيب أنه بعد مضي سنة على ذلك الأمر وجدنا أن أرباح الشركة كانت أكثر مما كانت عليه عندما كانت تقدم الخمور، على حين أن بعض الناس يظنون أن النتيجة ستكون عكسية.

ثم تكلم في موضوعات كثيرة أساسية منها قوله: إننا ننظر إلى المملكة العربية السعودية نظرتنا إلى شقيقنا الأكبر، ولقد جربنا الإستقدام من القطر الإسلامي الفلاني، فإذا بالذين جاءوا إلينا لا يتمسكون بما ينبغي أن يكون عليه المسلم في القول والعمل، ثم اتجهنا إلى بلد إسلامي آخر فوجدنا أن هناك شيئاً في عقيدة من أحضرناهم للاستعانة بهم في أمور الدين.

ونحن حذرون من تربية أبنائنا على أيدي أناس ليسوا أهلاً للتربية الإسلامية، وتكلم على حالة المسلمين الحاضرة فسأل عن مدى انتشار الإسلام في العالم على ضوء ما عرفه عني من أنني قد زرت العالم كله تقريباً. فأخبرته بالتقدم العظيم الذي عليه الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر، وبخاصة في الأمصار البعيدة. وحكيت له قصة المرأة الاسترالية الأخت (سلمى) التي سافرت من أستراليا مع زوجها مبتعثين من جهة تبشيرية نصرانية إلى إندونيسيا للعمل على تنصير المسلمين، فكانت النتيجة أن رجعا إلى أستراليا مسلمين، وأن الأخت سلمى قد أصبحت نشيطة في إسلامها ففتحت مدرسة لأطفال المسلمين وحرصت مع زوجها على أن توجه دعوتها بالدرجة الأولى إلى بني جنسها من الأوربيين الذين غالبيتهم في أستراليا من أصول بريطانية.

فأُعجب رئيس الوزراء بذلك وحمد الله وشكره وأخبر بعض من حوله بهذه القصة إلّا أنه فكر قليلاً حتى زايله سروره وقال وهو يلتفت إليّ: وماذا يكون عليه أمر المسلمين إذا نفذت إسرائيل ما قيل من أنها ستحول المسجد الأقصى في القدس إلى فندق سياحي؟

فقلت له: لا شك في سوء حالة بعض زعماء البلاد الإسلامية في الوقت الحاضر، لأنهم ممن تلقوا تربيتهم على أيدي الأوربيين ومن لف لفهم من غير المسلمين. إضافة إلى أن بعضهم صار ألعوبة في أيدي أعداء الإسلام ولذلك تعاون اليهود والنصارى على إذلال المسلمين وانتهاك حرماتهم وهم متأكدون من أن زعماء المسلمين لن يتضامنوا فيما بينهم، ويردوا على الإعتداء عليهم. ولذلك فإن الأمر منوط بالعمل الصالح. فإذا عمل المسلمون عملاً صالحاً فإنهم سينجحون ويفلحون، وسيهزمون عدوهم ويردونه عما أعلنه وما لم يعلنه من نواياه الخبيثة تجاه الإسلام والمسلمين. قال تعالى: ﴿يا آيها الذين آمنوا إنْ تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾. وإنْ تكن الأخرى ـ لا قدر الله ـ فإن ذلك هو جزاؤهم كما قال تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ وقال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾.

يوم الأحد ١٤٠٣/٦/٢٠هـ ـ ١٩٨٣/٣/٣م:

جولة في بروناي :

من يزر بروناي دون أن يركب نهر بروناي فانه كمن لم يزرها. هكذا قيل لنا وهكذا شعرنا. ولذلك كان لركوب النهر عندنا أهمية كبيرة. واسمه هكذا النهر رغم كون مياهه تختلط بمياه بحر الصين فتكاد تغلبها.

بدأ ذلك في الساعة التاسعة والنصف عندما انطلق الموكب إلى ضفة النهر فأُبعدت السيارات، وقُرِّبت القوارب الصغيرة التي ليس عليها حتى مظلات. وهي قوارب مستطيلة صغيرة تشبه قوارب التجديف، والوفد ثلاثة أعضاء ولكنهم أحضروا لنا قاربين لكون عدد المرافقين أيضاً اثنين.



على ميناء النهر قبل النزول في القوارب



في القارب على النهر الأستاذ المبارك على يمينه المؤلف ثم المرافقان، وصاحب القارب واقف في يمين الصورة.

هذا النهر كما قلت تختلط مياهه بمياه البحر المسمى بحر الصين الجنوبي ولذلك يصبح خضماً ضخماً من المياه يخيل إليك إذا رأيته أنه خور خالص من البحر وهو ليس كذلك، وإنما هو النهر قد اختلط بمياه البحر فغدا ماؤه ملحاً ولكنه لا يصل إلى ملوحة مياه البحر.

ومن أجمل ما فيه أنك ترى البيوت على شاطئيه، أو قل: على حافتيه فهي في وسط الماء ليس على اليابسة منها شيء. وترى هذه القوارب الصغيرة وهي تمخر عبابه حتى يخيل إليك أنها البط الكبير الذي يطير ولكنه يوشك على الوقوع عندما يمد أعناقه، ويضم أجنحته.

وهي تنقل الناس من ضفة إلى أخرى. وقد أخبرونا أنها هنا بمثابة سيارات الأجرة على اليابسة وهي صغيرة لذلك قد تجد شخصاً واحداً يستأجر قارباً

واحداً ليس فيه إلا سائقه فلا يرهقه أن يدفع أجره، ولا يؤخره عن حاجته أن يركب فيه لأن للقارب الصغير محركاً صغيراً يدفعه فيسير، ويخيل إليك أنه سوف يطير لأن معظمه يكون من السرعة قد فارق الماء، ولا يبقى إلّا عَجُزُه الذي فيه المحرك فكأنه الذي جاء فيه المثل: «أنف في السماء، واست في الماء».

وقد ترى على قلة قوارب كبيرة مخصصة لحمل الجماعات من الناس يتنقلون فيما بين الضفة والأخرى.

وهذه البيوت المائية ــ إن صح التعبير ــ كلها مرفوعة عن سطح الماء بدعائم تكون من أعمدة الاسمنت المسلح بالنسبة إلى الأغنياء، أو من الأخشاب بالنسبة لمن هم دون ذلك. والعجيب أنك ترى الأطفال فيها على حافة هذا الماء العميق فتشفق عليهم من أن يسقطوا فيه، ولكنك لاترى من أهلهم اهتماماً بذلك لأنك لاترى أحداً مع الأطفال على شرفات هذه المنازل.



منظر لجانب من القرية المائية وبدت حركة الماء التي أحدثتها القوارب في النهر كأنها الأمواج الخفيفة

وقد ترى ربة البيت تنشر غسيلها على حافة البيت الخشبية فالبيوت كلها من الأخشاب من دون استثناء وكأنها في وسط جنة أرضية مع أن بيتها في لجة مائية



سيدتان بلباس المسلمات الوطني السائد في شرفة أحد المنازل المقامة على الماء.

وإنك لتعجب من ولع القوم باتخاذ هذه البيوت من الخشب على ظهر الماء. مع أن بلادهم لا تشكو ضيقاً وأنه يمكنهم أن يبنوا بيوتهم على الأرض



جانب من القرية النهرية.

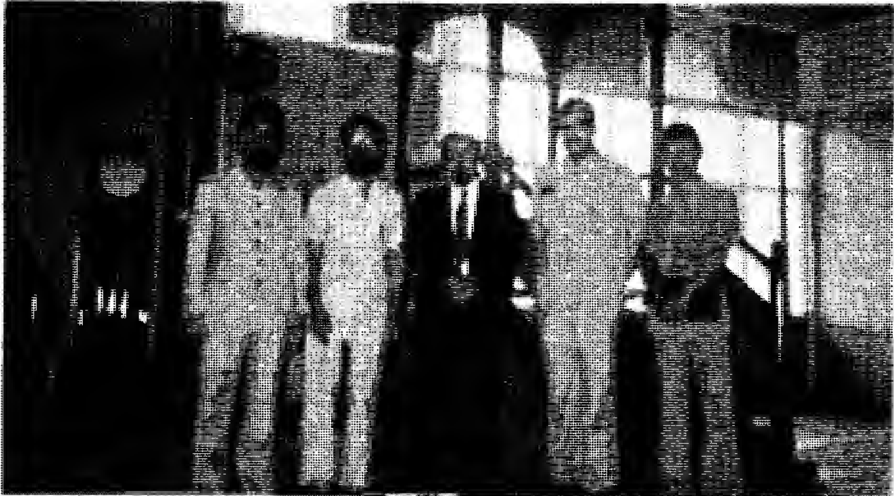
وقد كان في ظني أن أصل ذلك من عادة لهم قديمة كما سبق ذكره وربما كان أيضاً لكونهم في القديم كانوا يحصلون من النهر على ما يصطادونه من أسماك.



الدعائم التي تقوم عليها المنازل الخشبية في النهر.

مسجد عبد المعطي :

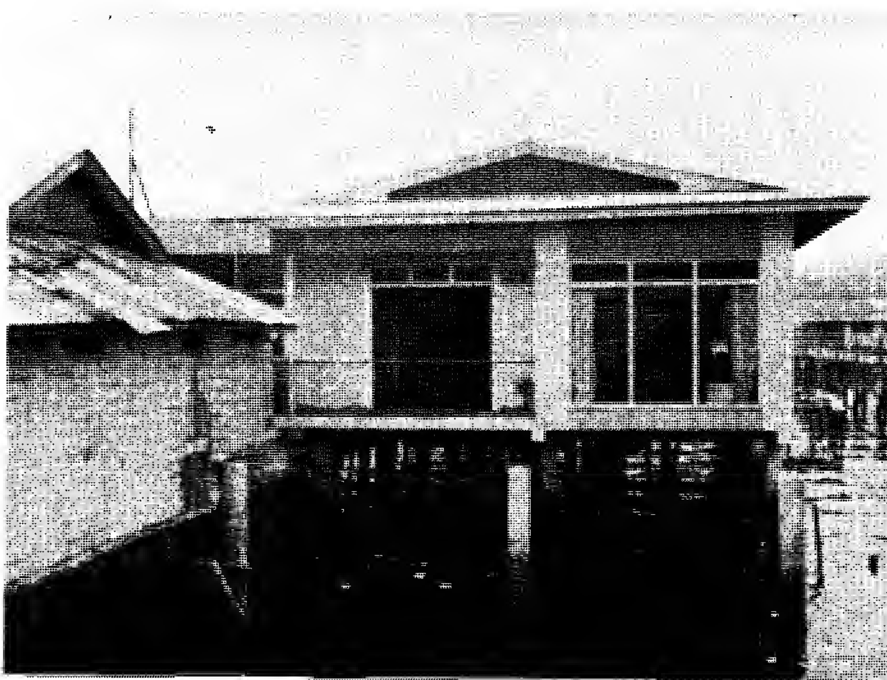
من ألطف ما تقع عليه العين في الجهة الغربية من النهر منظر مسجد ذي قبة خضراء ومظهر جيد وسط هذه البيوت المائية التي هي كلها من الخشب. طلبنا



صورة داخل مسجد حاج معطي المقام على الماء للوفد والمرافقين.

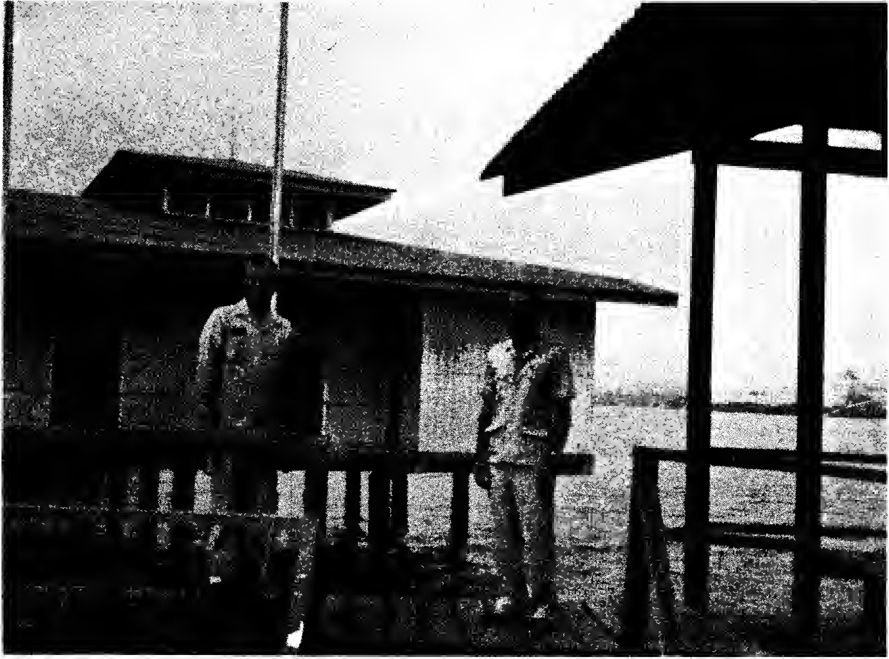
أن نراه قوقف القاربان عند درجة خشبية يصعد منها إلى مايشبه الزقاق من الخشب أيضاً، ولكنه مرفوع عن سطح الماء بحوالي المترين أو أكثر من ذلك قليلاً مثله في ذلك مثل سائر البيوت في هذا الحي المائي العجيب، أو القرية المائية المسماة (كامنبق أيار).

وسرنا مع الزقاق الخشبي الذي تفرع إلى عدة فروع أحدها قصد بيتاً سنيًّاً، جيد المظهر في شرفته الخشبية أيضاً جماعة من النساء والأطفال ذوي المظهر الحسن والغنى المتميز. ومنها فرع ذهب إلى المسجد مسجد القرية العائمة على سطح الماء في رأى العين المستعجلة وان لم تكن تتحرك من أمكنتها بطبيعة الحال.



صورة توضح المسجد مقاماً على الماء.

واسمه (مسجد عبد المعطي) على اسم رجل كان رئيس هذه القرية المائية، أو إن شئت قلت: رئيس القرية النهرية وقد توفي رحمه الله.



قبل الدخول إلى مسجد عبد المعطي الشيخ علي مختار إلى يساره المؤلف.

ورأيناهم كتبوا اسمه في لوحة في داخل المسجد مسبوقاً بأربعة ألقاب على عادتهم في كثرة الألقاب (مسجد فيهين داتو، إمام حاج عبد المعطي) وفيهين وداتو لقبان يمنحان من السلطان. وإمام لقب يمنح من الجمهور و(حاج): لمن أدى فريضة الحج كما هو معروف.

وقد تم بناء هذا المسجد في اليوم الثامن من شهر (هاربيولن) أي محرم عام ١٤٠٢ هـ وحددوا ذلك بدقة أو هم قد حددوا كتابة هذه اللوحة بدقة إذْ قالوا: إن ذلك تم في يوم الجمعة الساعة الثانية عشرة ظهراً.

وكل اللافتات في هذا المسجد باللغة الملايوية ذات الحروف العربية. ومن

الأشياء التي لفتت نظري فيه أنهم قد حجزوا قسماً من مؤخرة المسجد بحاجز من القماش الأبيض يرتفع حوالي المترين وذلك لتصلي خلفه النساء. وهذا يشبه ما نفعله نحن في مساجدنا في شهر رمضان، بخلاف ما يفعله أهل الهند الذين كثيراً ما يجعلون مكان الصلاة للنساء في شرفة فوق مصلى الرجال، بحيث يرين الإمام وبعض من يصلي خلفه ولا يراهن الرجال. ولا ما يفعله بعض الأفارقة والمتشددين من مسلمي الهند بأن يجعلوا مكان الصلاة للنساء منعزلاً عن مصلى الرجال مغلقاً عن أنظار الجميع.



فوق الممر المؤدي إلى القرية المائية.

وما فعله هؤلاء الإخوة من أهل بروناي وما نفعله في مساجدنا هو أقرب في نظري إلى السنة النبوية المطهرة.



الزقاق الخشبي (فوق الماء) المفضي إلى مسجد عبد المعطي.

والمسجد نظيف بل على غاية من النظافة ولقد طال عجبي من كون هذه الأخشاب التي بني بها المسجد قد سلمت من التآكل بل حتى من العرى من الطلاء وهي على الماء ولكن السبب في ظهور المسجد بذلك هو حداثة بنائه وبالنسبة إلى المنازل الأخرى الجميلة المظهر في هذا الحي المائي فإنه نتيجة لتعهد أهلها لها بالطلاء والعناية والترميم. وقد وقفنا في شرفة أو على الأصح: في زقاق ولا أقول: في شارع لأنه ضيق لا يسلكه إلا أقدام الآدميين لأنه لا يوصل إليه إلّا بدرج خشبي مثله في ذلك مثل سائر الأزقة والممرات والبيوت في هذه الأحياء العجيبة.

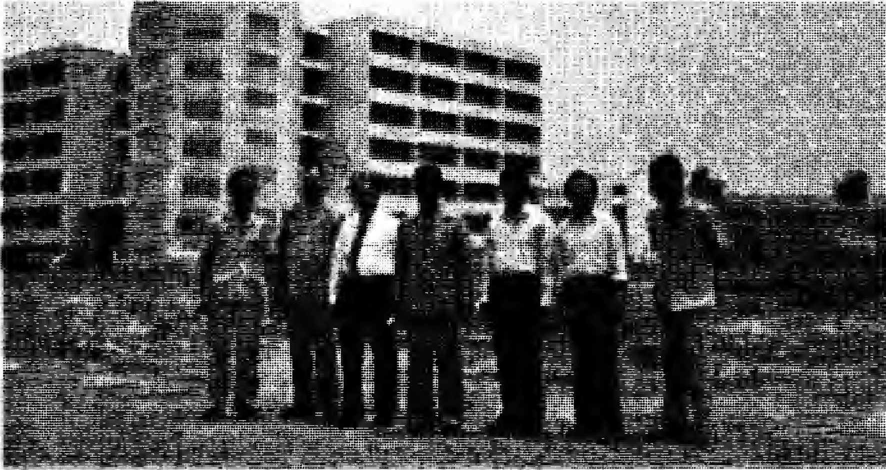
وكانت وقفة لا تنسى لغرابة المظهر وجماله لا سيما إذا نظر المرء إلى هذه

القوارب الصغيرة تسير بين الضفتين، أو تسير مع اتجاه النهر مسرعة وهي تتقابل أو تتبارى، وكأنها طيور الخطاطيف على صفحة الماء.

ومن اللطيف في هذه البيوت أن ترى بعض النساء قد تمسكن باللباس الساتر وهن قد وقفن أمام الدرج الذي ينزل من البيوت إلى النهر ينتظرن بعض هذه القوارب ـ قوارب الأجرة ـ التي تنقل الناس إلى أماكن أخرى.

وقد كنت ظننت أول الأمر أن هذه البيوت مقتصرة على المساكن الخاصة وإذا بي أرى أن الأمر ليس كذلك وإنما هي شبيهة بالأحياء المتكاملة التي فيها المرافق العامة حتى الدوائر الحكومية الصغيرة اللازمة. ومن ذلك أننا رأينا مستوصفاً حكومياً مكتوباً عليه ذلك. وتحته يرسو على الماء قارب كبير بمثابة سيارة الدائرة الحكومية. كما رأينا عدة دوائر عامة.

ومن اللطيف أيضاً أنك أينما أدرت بصرك بعيداً رأيت على اليابسة غير بعيد من ضفة النهر قبة ذهبية اللون، إما أن تكون قبة المسجد العظيم مسجد (عمر علي سيف الدين) أو قبة ذهبية أخرى مصغرة بحيث أصبحت هذه القباب الذهبية الطلاء بمثابة الشعار، لأهل هذه الديار.



صورة تذكارية تضم الوفد والمرافقين في الجولة حول العاصمة.

وجولة في ضواحي المدينة :

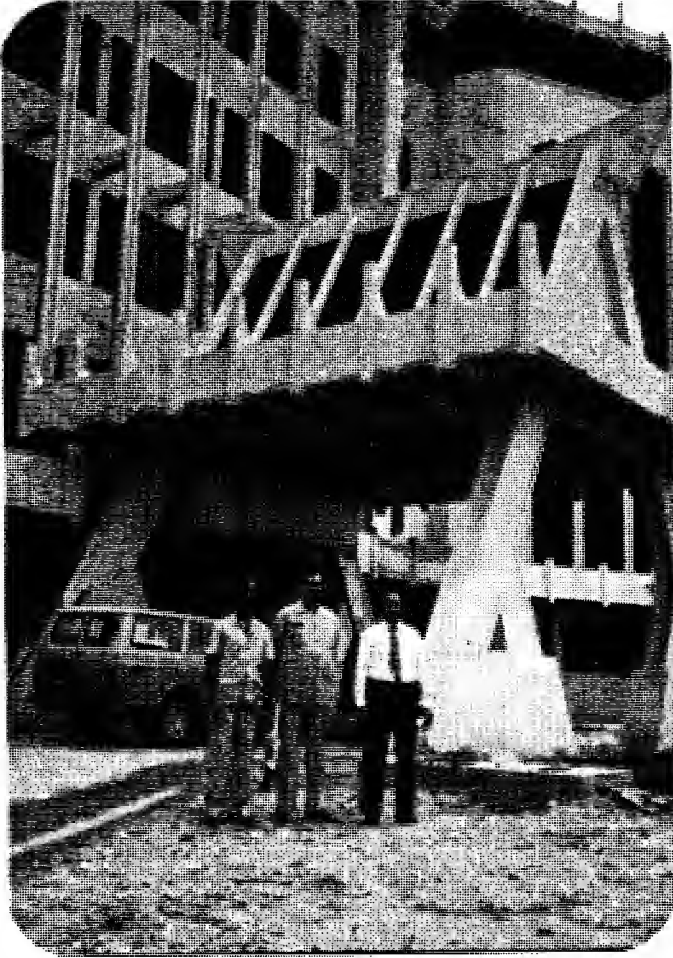
بعد الإنتهاء من هذه الجولة النهرية وجدناهم قد أعدوا سيارات من سيارات الجيب القوية. المكيفة الهواء استبدلناها بسياراتنا الصغيرة الجديدة وذلك للقيام بجولة على المشروعات العمرانية الجديدة التي يجري العمل فيها على قدم وساق الآن.

وكان يرافقنا في الجولة المهندس المعماري (إدريس عباس) أحد الأخوة من أهل هذه البلاد المسلمة وقد حصل على شهادة الهندسة من لندن. فكانت أولى الوقفات عند بناء شامخ لأنه واقع على ربوة تطل على المدينة القديمة التي يشقها نهر بروناي وقالوا لنا، وهم يشيرون إلى هذا المبنى: إنه المبنى الدبلوماسي، وعرفنا أن المراد بذلك أن يكون مقراً لوزارة الخارجية عند الاستقلال. وهو بناء جيد بالإسمنت المسلح القوي، وقد اجتمع فيه القوة وجمال التصميم ومعلوم عندهم أن المرشح لوزارة الخارجية هو (محمد بلقيه) أخ السلطان وهو أكبر أخويه.

ثم انطلقنا إلى بناء آخر بعيد من الأول أسموه كما ترجمه لنا المترجم المرافق (مبنى الفنون الوطنية) وقالوا: إنه سيكون متخصصاً بإحياء الصناعات اليدوية الفنية كصناعات التحف والأشغال الصغيرة. ووجدنا فيه المهندس ابراهيم بن محمد وهو من الوطنيين البروناويين، وهو مبنى عال جداً قام بتنفيذه مكتب المشروعات الوطنية.

ثم انطلق الموكب في أطراف المدينة للاطلاع على مشروعات أخرى يجري العمل فيها فتركنا المدينة مع طريق جيد وسط تلال ترابية خضر لكن خضرتها غير كثيفة وهي تلال رغم علوها في بعض الأحيان فإنها ليست صخرية. وإنما هي طينية رخوة يغلب السواد على لونها. ثم وقف عند أرض قد شقوا الطريق الاسفلتي فيها منذ وقت قريب وقد سووها تمهيداً لبنائها ـ قال المهندس ادريس

عباس: إنها ستكون مساكن للضباط، وهي في ضاحية جديدة ليس بجانبها بيوت.



عند مدخل إحدى المنشآت الحديثة في بروناي.

مركز الدعوة الإسلامية:

وهو بناء جيد توقف عنده الموكب وكان رئيس الوزراء الحاج عبد العزيز قد أخبرنا أنه يجري تشييده الآن، ويدل على اهتمام هذه البلاد بالدعوة الإسلامية وبالمعرفة الإسلامية على وجه العموم، وعلى الإستعداد للعمل

الإسلامي بعد الاستقلال. وينتظر أن يضم هذا المركز معهداً للبحوث الإسلامية ومكتبة إسلامية وهو بلا شك يتسع لذلك كله، وأكثر منه.

الملعب الرياضي :

من بناء المركز الإسلامي القوي الفخم وقفنا عند بناء عظيم قالوا : إنه (الاستاديوم) أي : الأستاد الرياضي. أو الملعب الرياضي. فرأيناه بناء عظيماً قليل النظير في البلاد النامية وقد أخبرونا أن مدرجاته تتسع لثلاثين ألف متفرج.

والواقع أن عرض مداخله وارتفاع سلالمه عن الأرض يدل على ذلك.



أمام إحدى المنشآت الضخمة الأستاذ أحمد المبارك على يساره المؤلف.

ومع أن الفرق عظيم بين مدلول مبنى المركز الإسلامي ومبنى الملعب الرياضي فإنهم لم يهملوا الجانب الديني فيما يتعلق بمن يحضرون إلى هذا الملعب الرياضي. فأنشأوا فيه ثلاثة أماكن للصلاة سماها بعضهم مساجد وسماها آخرون

(مصليات) جمع مصلى بفتح اللام المشددة وقالوا: إن أحد هذه المصليات الثلاثة خاص للسلطان ومن يكونون في معيته. والثاني: مخصص لعلية القوم وكبرائهم. والثالث لعامة الشعب.

وعندما رأيت عظمة البناء قلت: إن نفقته ستكون كبيرة فقالوا: واحد وأربعون مليون دولار أمريكي، وهذا مبلغ قليل بالنسبة إلى الأبنية المماثلة له في الجودة في بلادنا العربية لأنها تكلف أكثر من ذلك، أو هذا هو ما تراءى لنا.

ثم انطلقنا إلى منطقة قالوا: إنها كانت المطار القديم للعاصمة فانتقل المطار الى مكان آخر وأعطوا هذا لبعض الدوائر الحكومية لتبني فيه مكاتبها فكان من ذلك إدارة التعليم، وإدارة الأشغال العامة التي يعمل فيها أخوانا المهندسان اللذان معنا. ولذلك طلبا التقاط صور تذكارية معهما.

ولم نقف طويلاً في أرض المطار القديم وإنما انطلق الموكب إلى ضواحٍ غير منسقة، وحتى أشجار الغابات فإنها تبدو غير ملتفة وذلك لأنها معدة لتكون امتداداً للعاصمة (بندر سري بقاون). وأكثر الأشجار في هذه الضواحي أشجار وحشية مما ينبت بطبيعته ولم يغرس. ووقفنا عند بيوت كثيرة أسموها (البيوت الرخيصة) بنتها الدولة للموظفين والمحتاجين غيرهم. وقد بنوها على الطراز التقليدي الذي كانت تبنى عليه البيوت عندهم في القديم سواء منها ما كان على الماء وما كان على اليابسة. وذلك بأن ترتفع عن الأرض على دعائم خشبية تقيها الرطوبة.

أما هذه البيوت الحديثة فهي من البيوت الاسمنتية يترك الطابق الأرضي منها خالياً ليس فيه إلا الأعمدة فيكون موقفاً للسيارات ومكاناً لوضع بعض الأشياء الثقيلة أو على الأقل فراغاً لغسل الملابس ونشرها تحت البيت في ظل يطَّرد فيه الهواء. وأما البيت فإنه الطابق الأعلى وهو طابق واحد.

وقد دخلنا أحد هذه البيوت الجديدة التي لم تسكن كما هو حال أكثرها،

وثمنه الذي تبيعه به الدولة على أفراد الناس ستون ألف دولار من دولارات بروناي التي يساوي الواحد منها نصف دولار أمريكي، وذلك يساوي مائة ألف ريال سعودي لبيت من الإسمنت المسلح من طابقين الأسفل منهما خالٍ، والثاني وهو الأعلى فيه ثلاث غرف للنوم وغرفة استقبال ومطبخ وحمام وتبلغ



على شرفة أحد البيوت الشعبية التي تبيعها الحكومة والطابق الأسفل منها مكشوف.

مساحة المبني منه مائة وعشرة أمتار مربعة ويقع في وسط أرض واسعة تبلغ أربعة آلاف متر مربع.

وهذه فكرة جيدة أن تبنى البيوت على هيئة محلية قديمة وإنْ كانت بمواد حديثة وحبذا لو اتفقنا على أنموذج لبيوتنا الطينية القديمة وعممناه في القرى وأطراف المدن مع تحسينه بما يتفق مع بنائه بالاسمنت المسلح.

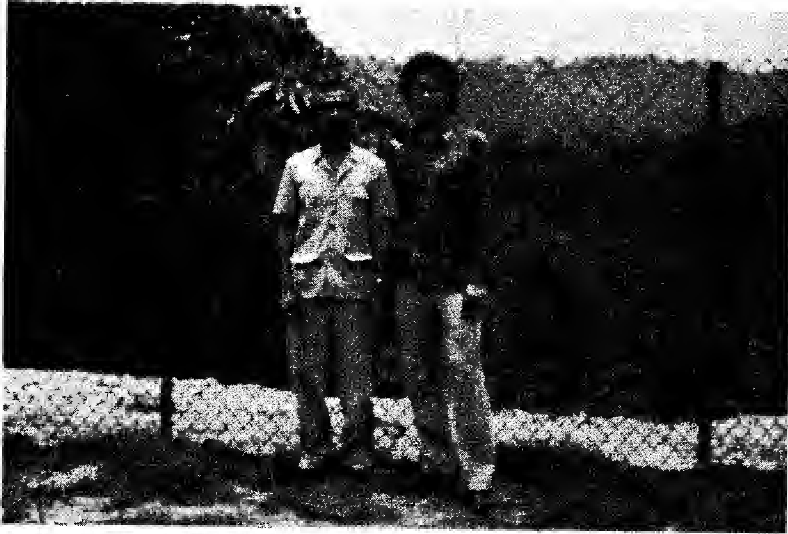
وهذه البيوت الشعبية منثورة نثراً فوق تلال متطامنة. وعلى سفوحها،

لأنهم قد وسعوا الأفنية المكشوفة، أو الأحواش المحيطة بها. وكثير منها لم يكتمل وهي إلى جانب ما رأيناه في المدينة وأطرافها وضواحيها تشعرك بأن مدينة (بندر سري بقاون) العاصمة وضواحيها إنما هي خلية عمل نشطة تسابق الزمن لتسبقه، فتنجز هذه الأبنية والميادين وتنتهي من التحسين والتزيين قبل أن يحين موعد الاستقلال في أوائل العام القادم ١٩٨٤م. وإن كان قد حدد له في الأصل آخر هذا العام.

المنازل الغالية :

تركنا هذه البيوت التي سموها بالرخيصة مع أراضٍ قد سووها لتصبح صالحة للبناء ولون تربتها أسود وليس فيها زراعة مزدهرة وذلك للذهاب إلى منازل أخرى أسموها (البيوت الغالية) وهي بيوت جميلة حقاً بنتها الدولة لتكون مقراً لكبار الضيوف الذين سيدعون إلى حضور حفلات الاستقلال.

وتقع فوق تلال تشرف على مناظر جميلة من الغابات والأشجار الكثيفة الخضر التي تكسو تلالاً هناك وتتدرج إلى وديان خضر بينها.



فوق إحدى التلال في ضواحي عاصمة بروناي مع أحد المهندسين الأجانب.

وهي منازل كبيرة على هيئة قصور فيها وسائل الراحة كلها وأكثرها قد انتهى هيكله ولكنه لم يكتمل بعد، وعددها خمسة عشر منزلاً أو خمسة عشر قصراً.

ويبعد مكانها الجميل هذا خمسة عشر كيلومتراً من قلب المدينة وهي من الإسمنت المسلح وقد جعلوا سقوفها مسنمة لتنزلق عنها مياه الأمطار وهي ذات أسقف حديدية إلا أنها مطلية بطلاء أحمر يجعلها تبدو للناظر كأنها من الفخار الأحمر.

ورغم كون اليوم هو يوم الأحد وهو اليوم الثاني للعطلة الأسبوعية في هذه البلاد. واليوم الأول هو يوم الجمعة فإنه يوجد عمال يعملون لبعض الشركات المقاولة على بنائها، وذلك من باب اغتنام الوقت. وقد لاحظت أنهم مثلنا يستعينون بعمال من البلاد التي تصدر العمال إلى الخارج والتي يوجد من أهلها أعداد كثيرة في بلادنا مثل الفلبين وتايلند والهند وباكستان.

قصر السلطان :

قصر السلطان الحالي الذي سلمنا عليه فيه يسمى (دار الهناء) كما تسمى بلاد بروناي كلها (دار السلام) ومع ذلك فإن الذي يرى ما رأيناه من ضخامة بناء قصر جديد للسلطان لا يستطيع أن يسمى هذا القصر الجديد باسم مناسب له لأنه في المظاهر والنفقة فوق الأسماء. ولقد تبخرت الصورة التي كانت في ذهني للقصر القديم وساكنيه التي كانت تتسم بالتواضع والتعقل لتحل محلها صورة تتسم بالتعاظم والمبالغة في إظهار الغنى. إن صح التعبير ـ ولن أطيل بذكر هذا القصر الضخم الذي لم يكتمل بناؤه بعد وإنما أذكر بعض ما شاهدته مما كمل منه.

من ذلك أن الدرج الخارجي الذي يصعد إليه للدخول إلى المدخل الرئيسي عرضه مائة وثلاثة وخمسون متراً. ولك أن تتصور الدرج الذي تفضي إليه عتبة

الدخول إلى بابك وقد أصبح عرضه مائة وثلاثة وخمسين متراً.

ولا تقل: إذا كان هذا عرض درج المدخل فكم يكون مقدار عرض القصر؟ فإنني سوف أضرب لك مثلاً آخر: إن قاعة الاستقبال الرئيسية، أو قاعة العرش كما يسمونها وهي مؤلفة من شقين: أحدهما أكبر من الآخر، ولكنهما متصلان تبلغ مساحتها كما أخبرنا بذلك مهندس أجنبي من الشركة التي تتولى بناء القصر وبحضور الأخوين المهندسين الوطنيين وغيرهما تبلغ مساحتها ثمانية آلاف ومائة متر مربع.

وقاعة العرش هذه مبنية على طراز إندونيسي وبعضهم يسميه الطراز الملايوي على اعتبار أن الإندونيسيين والملايويين يشتركون في هذه النسبة كما يشتركون في التكلم بلغة واحدة هي اللغة الملايوية.

وهو طراز قريب من الطراز الصيني وما هو به. وليس في وسط القاعة أعمدة إنما سقفها قائم على أعمدة حديدية هائلة تعينها دعائم من الحديد الضخم القوي، مثبتة خارج القاعة كما تثبت أطناب الخيمة أي: حبالها.

وقد اختاروا للقصر السلطاني موقعاً فريداً فوق تلة جميلة تطل على نهر بروناي وتزين وسطه قبة شبه مغولية لتعطيه مظهر الطراز الإسلامي العام. وتنهض من جانبه قبة عربية لمسجد كبير لم ترتفع مناراته بعد.

كانت الساعة قد بلغت الواحدة والنصف ظهراً وقد بهرنا هذا المنظر الذي لم يكتمل بعد وأنسانا ومضيفينا موعداً للغداء عند رئيس الشئون الدينية في بيته كان قد حدد له الثانية عشرة والنصف لذلك أسرعنا في الذهاب إليه فمررنا على ضفة النهر في اليابسة بآثار بيوت قديمة قد هُدمت وأُحرقت بقاياها ولاتزال تشتعل فيها النيران. وذلك لتسوية أرضها وتجميلها لأن أهلها انتقلوا إلى البيوت الإسمنتية التي يسمونها الرخيصة والتي بنتها الدولة لهم.

استقبلنا الشيخ (محمد زين الدين) حفظه الله وحق له أن يستثقلنا فقد أكثرنا من التردد إلى بيته تلبية لدعوته بل دعواته الكريمة. ووجدناه قد أعد مائدة كبيرة حافلة بأنواع الطعام كما كانت قاعاته حافلة بأهل الفضل الكرام، من إخواننا طلبة العلم في هذه البلاد. فكانت هذه الدعوة الكريمة مسك الختام في ضيافة هؤلاء القوم الكرام، لأن وقت الرحيل قد أزف، ولم يبق عليه إلا سويعات بل ساعتان.

وداعاً يا بروناي :

كان في الوداع في المطار طائفة من الإخوة الكرام على رأسهم الأخ الودود ذو الزين والدين الشيخ (محمد زين الدين) رئيس الشئون الدينية وكان معهم مصورو التلفزة يسجلون لحظات الوداع من قاعة كبار الزوار في المطار إلى ساحة الدخول في الطائرة طائرة بروناي التي نقلتنا إلى بانكوك عاصمة تايلند.

فكان اللسان قد عجز عن الإعراب بالشكر اللائق على هذه الخلائق، الفاضلة وكان الدعاء عند الوداع بأن يكون وداعاً إلى اجتماع في أشرف البقاع في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وفي الخامسة عصراً أقلعت الطائرة وأعلن مضيف الطائرة البروناوية باللغتين الملايوية والإنكليزية أن السفر إلى (بانكوك) يستغرق ثلاثة ساعات إلا ربعاً.

وعندما غادرت الطائرة سماء الجزيرة بدا شاطئها من الطائرة رملياً جميلاً. ثم لججت في البحر بسرعة، واستمر معظم الطيران فوقه وهو الذي يسمى بحر الصين الجنوبي. وقد اجتهد الملاحون في إفهام المسافرين للتعليمات المعتادة عند الطيران فوق البحر وتصفحت مجلة صغيرة كانت موضوعة أمام المقاعد وهي مجلة خطوط بروناي فوجدت عنوانها (محبة) هكذا وهي المحبة العربية دخلت في لغتهم الملايوية التي يكتبونها بالحروف العربية كما قدمت.

وأسطولهم الجوي صغير لايزيد على خمس طائرات نفاثة ومع ذلك أجروا إحدى طائراتهم لخطوط سريلانكا (سيلان سابقاً).

وليس في طائرتهم هذه درجة أولى وإنما خصصوا مكان الدرجة الأولى - وفي العادة يكون في مقدمة الطائرة - للشحن فأبعدوا عنه المقاعد وهذا يدل على شدة حاجتهم للإستيراد، وعلى أنهم يستوردون الأشياء التي يحتاجونها أو يريدونها ولو كان شحنها غالياً.

وخدمة المضيفين متوسطة ولا يقدمون مسكرات أو خموراً في طائراتهم إذ منعوا ذلك قبل سنة جزاهم الله خيراً، وثبتهم على الحق، إنه سميع قريب.

إلى بروناي .. مرة ثانية

بعد العودة إلى الوطن والانتهاء من تهيئة هذا الكتاب عن زيارة سلطنة (بروناي) للطبع أعلنت حكومة (بروناي) بعد أن أصبحت دولة مستقلة في الموعد المحدد لذلك من قبل وهو الأول من الشهر الأول من هذا العام الميلادي ١٩٨٤ م أعلنت أن الأحتفال باستقلال البلاد سيكون في اليوم الثالث والعشرين من الشهر الثاني (فبراير) من هذا العام . ووجهت الدعوة لعديد من الدول لحضور ذلك الاحتفال ومنها المملكة العربية السعودية .

وقد صدر أمر صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز رئيس مجلس الوزراء حفظه الله بأن يتألف وفد المملكة لحضور هذا الاحتفال من أحد السفراء السعوديين في تلك المنطقة وأحد المسئولين في رابطة العالم الإسلامي .

فتقرر أن يتألف الوفد من السفير فوزي عبد المجيد شبكشي سفير المملكة العربية السعودية في طوكيو وأنا أمثل رابطة العالم الإسلامي وقد سجلت في مذكرتي هذه الكلمات عن الاحتفال .

يوم الاثنين ١٤٠٤/٥/١٩ هـ ١٩٨٤/٢/٢٠ م .

من الرياض إلى سنغافورة :

ركبت مع طائرة الخطوط السعودية من طراز جامبو العملاق ٧٤٧ وودعت ابني في مطار الرياض وهما المهندس ناصر والاقتصادي خالد .

ثم غادرت الطائرة مطار الملك خالد الدولي الفاخر الساعة الحادية عشرة والثلث ليلاً قاصدة (بانكوك) عاصمة تايلند .

و(بانكوك) أصبح عندنا اسمًا لا يشرف من يذكره . فكان الذين يسألونني عن الجهة التي سأسافر إليها أقول لهم صادقًا : إنها سنغافورة . ذلك بأنني بالفعل مسافر إلى سنغافورة ولكن عن طريق مطار (بانكوك) والمقرر ألا أبقى في مطار (بانكوك) إلا ساعة ونصفا .

لقد ساءت سمعة (بانكوك) في بلادنا وحق عليها أن تسوء ـ لأن طائفة من السفهاء وغير المبالين من بني منطقتنا أخذوا يقصدونها طلبًا لمتع رخيصة يشترونها وقد يشترون معها أمراضًا وعللاً سرية وعلنية تكون (بانكوك) قد اكتسبتها من الوافدين إليها من شتى أنحاء الشرق ، بل العالم ، لأن مدينة (بانكوك) قد اصبحت كما يسميها اليابانيون في السنين الأخيرة (حمام الشرق) لأنها امتلأت بالمحلات التي كتبوا عليها بأنها حمامات ومحلات تدليك . فلا تكاد تجد شارعًا فيها إلَّا وفيه محل واحد أو أكثر من هذه المحلات التي هي في الحقيقة محلات بغاء مقنع لمن يبحث عن ذلك .

وفي الأحوال المعتادة يدخل الرجل وبخاصة من أهل تايلند فيجد في هذا المكان من ينظف جسمه وقد (ينظف) جيبه أيضًا مع جسمه ، وقد يخدعه بما يسمى (بالمساج) أو التدليك الذي يزعمون أن المراد به التماس الصحة وتنشيط الجسم .

هذا ما يكون ــ في الغالب ــ من أمر التايلنديين .

وأما ما يكون من أمر الغرباء والوافدين . فإن الرجل قد يتمثل وهو يغادر المكان بقول ابن المعتز :

قد كان ما كان مما لست أذكره فظن خيرًا ولا تسأل عن الخبر !

ونظراً إلى ما قاله بعض المشايخ الصالحين القدماء : «إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من عقاب السيئة السيئة بعدها» فإنه في كثير من الأحيان قد يتبع سيئة الخلوة بالمرأة التي حذر منها الرسول ﷺ بقوله : ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما سيئة أخرى هي الوقوع في براثن أم الخبائث وهو شر إذا أنشب أظافره في قلب المرء صعب عليه التخلص منه إلا بتوبة نصوح ، وعزيمة قاهرة .

لقد سمى اليابانيون مدينة بانكوك (حمام الشرق) وإن كانوا هم الأوائل الذين نشروا المحلات التي تخدم فيها النساء الرجال كما نشروا التدليك بالأصابع الذي صار يسمى (المساج) إلَّا أن التايلنديين فاقوهم في الصعود أو الهبوط بهذا الأمر حتى صار لسان حالهم ينشد قول الشاعر :

وكنت امرءاً من جند ابليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي

وبعد : فإن الحديث عن بانكوك ليس موضعه هنا وإنما موضعه كتاب «مشاهدات في تايلند» .

كان المذيع في الطائرة السعودية قد أعلن أن مدة الطيران إلى بانكوك ستكون ست ساعات وعشر دقائق وكنت قد عهدتها أكثر من ذلك عند القدوم من بانكوك إلى الرياض فمرة كانت سبع ساعات وربعًا ومرة كانت سبع ساعات ونصفاً . ولا أدري السبب في الفرق إلا أن يكون ذلك بسبب كون اتجاه الطائرة شرقًا يختلف عن اتجاهها إلى الغرب بسبب اتجاه الأرض .

في مطار بانكوك :

لم يكن بقي على قيام الطائرة السنغافورية التي سأسافر عليها إلى سنغافورة من بانكوك وحجزت عليها الخطوط السعودية في الرياض لي إلا ساعة ونصف - ولم أكن شحنت حقيبتي من الرياض إلى سنغافورة لأنني سبق أن جربت مثل ذلك في بانكوك نفسها فأضاعوا حقيبتي ، ولو كنت قادمًا في مثل هذه الحالة إلى بلد متقدم في الإدارة مثل باريس أو لندن لكنت شحنتها إلى سنغافورة واسترحت منها .

فذهبت إلى قاعة العابرين وهي مستطيلة على هيئة ممر ظللت أسير فيها فترة حتى وصلت إلى مكاتب اثارت ذكرى مرة في نفسي وذلك أنني في عام ١٣٩٧ هـ أي منذ سبع سنوات كنت قادمًا من هونج كونج إلى البحرين عن طريق بانكوك فلما وصلت إلى المطار وقصدت قاعة العابرين التي سأظل بها أربع ساعات قالت موظفة في مكتب الشركة السنغافورية وهي هذه الشركة نفسها التي سأسافر عليها الآن وكان سفري عليها آنذاك سيكون من بانكوك إلى البحرين : إن حقيبتك في (الجمرك) وسوف أشحنها لك مع طائرتك ثم عادت إليَّ وبيدها قسيمة صغيرة وضعتها بدل القسيمة السابقة التي شحنت عليها الحقيبة من هونج كونج إلى بانكوك ، والمراد بها : بطاقة تسلم الحقيبة .

ولما وصلت إلى البحرين لم تصل حقيبتي معي كما قالوا . واضطررت أن أنتظرها يومًا كاملاً في البحرين لأنه من أشد الأشياء حساسية عندي في ذلك الوقت أن ملابسي العربية كلها كانت في تلك الحقيبة الكبيرة وكنت أرتدي الملابس العالمية المسماة بالإفرنجية .

ولم تصل الحقيبة فاضطرت أن اشتري ملابس عربية جاهزة غير مناسبة من البحرين وسافرت إلى الرياض ولم تعد الحقيبة وكان أشق شيء في الأمر بعد ذلك مراجعة الشركة السنغافورية التي اكتسبت سمعة قوية عند الناس بأنها

شركة تستحق الاحترام وذلك بسبب المجاملات الفارغة التي يبديها مضيفوها على الطائرة وكذلك بسبب طيب الاستراحة في مطارها الدولي .

وهذا ما جعلني أتذكر هذا الموقف الذي حصل لي منذ سبع سنوات وقد سمعت الموظفة التايلندية في مكتب الشركة السنغافورية تقول : وحقيبتك ؟ ماذا تفعل بها ؟ أتريد أن تشحنها على طائرتك إلى سنغافورة ؟

ولا شك في أن المضيفة القديمة قد استغنوا عنها الآن لأنها صارت مع الزمن على غير شرط الشركات في استخدام المضيفات بسبب تقدمها في السن ، وربما كانت هذه الموظفة التي كلمتني اليوم تمت لها بصلة القرابة لأن شبهها بالأولى كان كبيرًا مع أن هذا الجنس الأصفر يتشابه أفراده حتى يصعب على المرء أن يميز بعضهم من بعض إلَّا بعد إمعان ومعرفة متكررة .

فقلت للموظفة : إنني أفضل أن تحضري لي حقيبتي لأراها بنفسي إذا أمكن ذلك قلت لها ذلك لأن هذا هو فعل أمثالها من موظفات الشركات في مطارات العالم ، مثل باريس ولندن بل وحتى جوهانسبرج في جنوب إفريقية كما جربت ذلك بنفسي .

فقالت : إنني لن آتي بها ، وإنما تستطيع أنت أن تحضرها ثم وصفت لي طريق تسلم الأمتعة من الجمرك وبعد مكاتب الجوازات وما كانت بي حاجة إلى وصفها لأنني أعرف المكان .

فذهبت إلى مكتب للعابرين قبل الجوازات فيه موظفات قصصت عليهن أمري وأن الوقت ضيق على رحلتي . وطلبت منهن أن يحضرن لي حقيبتي فلم يفعلن مع أن المسافة لاتزيد على عشرين مترًا بين مكانهن وشريط تسلم الأمتعة .

وقلن : ادخل وخذها بنفسك . ولكن بيني وبينها مكاتب الجوازات وجميع الضباط الذين يعملون فيها مشغولون بالركاب . فطائرتنا وحدها من

طراز (جامبو) ٧٤٧ مليئة بالركاب وهناك غيرها . وإذا وقفت في الخط الطويل لم يصلني الدور إلا بعد فوات الرحلة بكل تأكيد . ولم يكن على المكتب المخصص لمن يحملون جوازات سياسية ـ مثلي ـ أحد .

فقصدت أحدهم وجاوزت الواقفين قائلاً له : من فضلك إنني مسافر عابر (ترانزيت) أريد أن آخذ حقيبتي فاستجاب لقولي بأن قال إملأ هذه البطاقة وأدعك تدخل . وإذا بها بطاقة الدخول المعتادة فملأتها . وناولته إياها وأنا أقول له : إن الوقت ضيق أرجوك أن تسرع .

فأجاب : هذا أمر يتعلق بك ولا يهمني بشيء .

وهكذا دخلت إلى قاعة تسلم الامتعة وبعد انتظار طويل أيضًا تسلمت حقيبتي وأسرعت إلى موظفة جميلة الوجه بالنسبة إلى وجوه أهل تلك المنطقة ، فأخبرتها بقصتي ورجوتها أن تسرع فأسرعت بالفعل وإن كانت قد قالت : إنني أخشى ألا تدرك تلك الطائرة التي حجزت عليها .

ثم ذهبت معي لتسأل موظفات العابرين اللاتي مررت بهن أولاً فمنعها ضباط الجوازات من خروجي مع أنني لم أبعد عنهم إلا عشرة أمتار لأن شريط تسلم الأمتعة لا يبعد أكثر من ذلك ومعي موظفة رسمية .

وأخيرًا بعد رجاء وإلحاح من تلك الموظفة سمحوا لي أن أملأ بطاقة الخروج وأخرج من عندهم ، فلما وصلنا إلى مكتب العابرين تكلموا مع الموظفة ، بشيء لا أفهمه فتركتني ودخلت قائلة : انتظر .

وهنا رجعت إلى مكتب العابرين وقلت لموظفة فيه : أرجو إذا كانت طائرتي قد قامت أن تحجزي لي على أول رحلة بعدها .

وفعلاً كان موعد قيام الطائرة قد أزف ، فقالت : إنها فاتتك بالفعل ثم حجزت لي على طائرة تقوم في الساعة السادسة والربع ونحن الآن في الثانية عشرة . فكررت عليها السؤال عما إذا كان يوجد لي مقعد في رحلة قبل هذه ؟

فأجابت : لا يوجد ، وقد حجزت لك على شركة (كاثي باسفيك) .

وهنا حضر موظف تايلندي من الشركة السعودية وتولى المهمة من تلك الموظفة التي كانت معي . وقال لي إنها حجزت لك بعد ست ساعات والنظام عندهم لا يجيز للمرء أن يبقى في المطار أكثر من ثلاث ساعات فعليك أن تخرج منه .

فقلت له : إن المدينة بعيدة وليست بي حاجة لدخولها . ولن أخرج من هنا فماذا عسى أن يصنعوه بي أكثر من أن يخرجوني من بلدهم أو مطارهم وهذا ما أريده ؟ فضحك وقال : لا ، تكون في مكتبنا في المطار وتقابل مدير (السعودية) في بانكوك محمد اللنجاوي ثم أخذنا للمرة الثالثة نملأ بطاقة الدخول .

وبعد ذلك دخلنا وتجاوزنا الجمرك بدون تفتيش بسبب الجواز السياسي .

وفي مكتب مدير السعودية طلبت منهم أن يبحثوا لي عن رحلة قبل السادسة فوجدوها مع طائرة سنغافورية في الثالثة والنصف وحجزوا لي عليها وأمضيت بقية الوقت مع الأخ محمد اللنجاوي مدير (السعودية) في بانكوك في حديث ممتع تناول الشئون الإسلامية في هذه البلاد وغيرها لأنه رجل متدين جزاه الله خيرًا .

إلى سنغافورة :

بعد هذا الارتباك في مطار بانكوك شأن مطارات الدول المتخلفة قامت الطائرة السنغافورية في الوقت المحدد وهي من طراز جامبو (بوينج ٧٤٧) والدرجة الأولى فيها فسيحة أكثر منها في كثير من الشركات العالمية وخدمتهم جيدة .

ووصلنا بعد ساعتين وخمس دقائق .

وفي مطار سنغافورة أتيت إلى مكتب الشركة في المطار فأريتهم حجزي معهم غداً فقالت الموظفة : إنه ليس مؤكداً وكان موظف الخطوط السعودية في مطار الرياض قد اخبرني أنه حجز لي فقالت : إنه حجز لك حجزاً غير مؤكد ، وإنما هو طلب (ركويست) .

وكان يترتب على الحجز أن يستضيفوا الراكب في فندق في (سنغافورة) ويوصلوه إليه ثم يعيدونه إلى المطار عند المغادرة كالمعتاد ، فحجزت لي على الدرجة السياحية قائلة : إن الأولى محجوزة ، وقد نجد لك مكاناً فيها قبيل قيام الطائرة .

يوم الاربعاء ٢١/٥/١٤٠٤ هـ ٢٢/٢/١٩٨٤ م

غلطة بصواب :

في الأمثال العربية القديمة «ربما غلط المخطيء بصواب» وهو مثل ورد تضمينًا في الشعر أيضًا من ذلك قول أحدهم :

يا عجبًا من صالح كيف لا يغلط فينا مرةً بالصواب

يضرب لمن يصيب في الأمر عن غير قصد .

فقد تمشيت بعد أن تعشيت في الفندق الليلة البارحة فلم أنم في أول الليل ، وكنت لم أذق غمضًا إلا غفوات في الطائرة منذ يومين . ولم أطلب من أهل الفندق إيقاظي اعتمادًا على ما عرفته عن نفسي من استيقاظي في الوقت الذي أريده ، لأنني أصبحت من المدمنين على السفر ومعرفة مواعيد الطائرات .

ولكن نظرًا لحاجتي الشديدة إلى النوم لم استيقظ إلا في الساعة الثامنة صباحًا مع أن الطائرة السنغافورية التي حجزت فيها تقوم في التاسعة والمطار بعيد عن قلب المدينة يحتاج الوصول إليه إلى ساعة إلا ربعًا في المعتاد .

فأسرعت أصلي ، وأحزم امتعتي وأمر بإدارة الفندق لأوقع على أوراقه ثم انطلق مع سيارة أجرة أحث سائقها على الإسراع .

ووصلت مكتب السنغافورية قبل موعد قيام الطائرة بربع ساعة فأمرتني الموظفة بالإسراع إلى البوابة رقم (١) كما قالت ولكن المشكلة كانت في حقيبتي التي رفض الموظف المسئول أن يتسلمها : قائلاً : إنه لا يمكنه أن يرفعها إلى الطائرة لأن الوقت قد فات .

وأنا مشفق جدًا من فوات الطائرة التي ستطير إلى بروناي لأنني ذاهب إلى

بروناي للاشتراك في حضور احتفالها بالاستقلال يوم غد . وأنا مع الأخ السفير فوزي عبد المجيد الشبكشي سفير المملكة في اليابان كل الوفد السعودي الممثل للمملكة في هذا الاحتفال .

ولكن الموظفة عندما رأتني قلقًا قالت : انتظر هنا عشر دقائق وسوف تسافر مع طائرة أخرى تابعة لشركة بروناي .

ولم أكد أصدق ذلك ثم وضعتني في الدرجة الأولى واعطتني ورقة للاستراحة في مكان انتظار الدرجة الأولى في المطار .

ووجدت إخوة أعزاء من بين ركاب الطائرة من أهل (بروناي) أحدهم يتكلم العربية بطلاقة فاحتفوا بي وقالوا : إنهم سيكونون معي في المطار .

وفي الموعد المحدد وهو العاشرة والنصف صباحًا قامت طائرة خطوط بروناي . وهي من طراز بوينج (٧٣٧) الصغير إلا أنهم صنعوا بمقاعدها عجبًا وهو أنهم جعلوا نصف الطائرة درجة أولى . والظاهر أنهم جعلوها هكذا لهذه المناسبة .

وذلك لحاجتهم في مثل هذا اليوم الذي ينتظرون فيه ضيوفًا كثيرين على بلادهم .

وأفطرت هنيئًا لا يتطرق الشك إلى حله كما أن المشروبات المحرمة لا تقدم في طائراتهم وكان معنا في الطائرة عدة وفود رسمية مثلي من شرقية وغربية.

ومن الأشياء الجميلة في طائرتهم هذه أن مجلة خطوط بروناي الموضوعة أمام المقاعد عنوانها (محبة) بهذا اللفظ العربي وهو مما دخل في لغتهم الملايوية من العربي كما تقدم . كما أن من الأشياء اللطيفة المريحة فيها أيضًا أن المرء لا يحتاج إلى أن يسأل نفسه عن الطعام والشراب الذي فيها أهو حلال أم حرام ؟ لأنهم قد منعوا تقديم الحرام في طائراتهم وهم يذبحون ذبحًا شرعيًا .

واستغرقت المسافة ساعتين بالضبط .

في مطار بروناي :

عندما هبطت الطائرة طلب المضيف منا ـ نحن ركاب الدرجة الأولى ـ أن نبقى في اماكننا وذلك من أجل ترتيب نزول كل وفد وحده ، ومن ثم اصطحابه إلى قاعات الاستراحة في المطار .

وعندما جاء دوري وكنت وحيدًا اخبرتهم أن زميلي السفير فوزي الشبكشي موجود الآن في كوالالامبور وأنه سيصل بروناي في هذا المساء .

فاسترحت في المطار مع حفاوتهم البالغة حتى رتبوا كل شيء ومن ذلك التصوير على بطاقة عضوية الاحتفال كالمتبع .

وانزلوني في الفندق الذي نزلت فيه العام الماضي ، وحجزوا لزميلي السفير الشبكشي غرفة خاصة كالمعتاد وسيارة رسمية مكتوبًا على لوحتها اسم (المملكة العربية السعودية) بالانكليزية .

وهكذا كان غلطي صوابًا لي لأنني نمت نومًا كافيًا وسافرت مع الوفود الرسمية بالدرجة الأولى التي يركب فيها الوفود الرسمية بخلاف ما لو كنت استيقظت في الوقت المحدد فأكون قد ركبت مع (السنغافورية) في زحام الدرجة السياحية ، وبدون أن أنام نومًا كافيًا .

وجددت عهدًا غير بعيد بسلطنة بروناي إذْ لم يمض على زيارتي الأولى لها إلا أحد عشر شهرًا وهي الزيارة التي قصصت قصتها فيما سبق .

وكنت رأيتهم في الزيارة السابقة يسابقون الزمن . ويعملون على بناء بلادهم استعدادًا للاستقلال ، وللاحتفالات التي ستجرى بعد ذلك بهذه المناسبة .

وكان الميدان الذي يطل عليه فندق (شيراتون) الذي أسكن فيه ميدان

عمل واسع من تجديد المرافق فيه إلى (السفلتة) والتحسين في بعض اجزائه وهو الآن صار مكتملاً بل مزروعًا بالحشائش ومزينًا بالأزهار المنسقة .

وكنا عندما قابلنا السلطان في المرة السابقة قال والده : إن بلادنا ستستقل في أول العام القادم ١٩٨٤ م وسوف ندعوكم لحضور حفل الاستقلال فشكرنا ذلك له وقلنا : إننا سنجيب وسنكون لكم من الشاكرين لأن هذا معناه الاحتفال بخروج دولة إسلامية جديدة إلى المجال العالمي الدولي .

ومن لطيف ما لاحظته في هذه المرة أنهم قد جعلوا في رف الخزانة الخشبية التي في غرفتي سهمًا يشير إلى القبلة مكتوبًا عليه بالعربية بخط جميل كلمة (قبلة) وهذا أراحنا من السؤال عن جهة القبلة ولم أكن رأيتهم فعلوا ذلك من قبل .

كما أن المرافق المخصص لي واسمه (إدريس محمد نور) أحضر إليَّ سجادة للصلاة من دون أن أطلبها . وقال : هذه من الوزارة ، وهو يقصد وزارة الخارجية .

ولاحظت في هذه المرة كما في المرة السابقة أنهم يقطعون برامج التلفزة إذا حان وقت الصلاة ويكتبون العبارة التالية (وقت المغرب) وكلمة (وقت) في لغتهم هي العربية إلا أنهم يبدلون القاف كافًا فيقولون : (وكت) ، أما كلمة العشاء فإنها مختلفة عن العربية .

ثم يذيعون الأذان ويكتبون كلماته بالعربية وترجمتها باللغة الملايوية أسفل من ذلك . كما أنني لاحظت أنهم قد ملأوا ما يسمونه بالحانة الصغيرة (مينى بار) في الغرفة بمشروبات كلها حلال ليس فيها شيء من الخمر ولا من المشروبات الملحقة بها كالبيرة .

ولكوني قد زرت (بروناي) من قبل وتجولت في عاصمتها وما حولها فقد أخلدت إلى الراحة في الفندق .

يوم الخميس ١٤٠٤/٥/٢٢ هـ ١٩٨٤/٢/٢٣ م

يوم الاحتفـال :

استقلت (بروناي) في اليوم الأول من الشهر الأول من هذه السنة الميلادية ١٩٨٤ م أي منذ شهر وثلاثة وعشرين يومًا بالضبط ولكنها لن تحتفل باستقلالها إلا في هذا اليوم .

والسبب في ذلك أنهم يريدون أن يوجهوا الدعوات إلى الدول لحضور الاحتفال بعد أن يكونوا دولة مستقلة .

وكانوا قد طلبوا منا أن نكون جاهزين للتحرك في السادسة والنصف من هذا الصباح مع أن موعد بدء الاحتفال حسب البرنامج الرسمي هو السابعة والنصف . ولذلك أفطرت قبل صلاة الفجر التي تكون في السادسة إلاَّ ثلثًا . وجاء زميلي وصديقي السفير فوزي الشبكشي وقد عرفته قبل ذلك في الفلبين عندما كان سفيرًا هناك ، وكنت أزور الفلبين على رأس وفد رسمي .

وتجمع الضيوف من كافة الأجناس في قاعة فندقنا (شيراتون) وبينهم كنا نرى اللباس العربي على قلة على الوفد البحريني أو البحراني على الصحيح في النسبة إلى بلاد (البحرين) وإن كانت كلمة (بحراني) هناك قد أصبحت تدل على معنى خاص ووفد البحرين مؤلف من ثلاثة أشخاص يرأسهم الأمير خالد ابن أحمد آل خليفة ــ وزير الاسكان ــ إضافة إلى وفد عمان ورجل لم نعرفه ربما كان من الإمارات العربية.

وانطلقت السيارات في السابعة من الفندق وقد خصصوا لكل وفد سيارات كتبوا على لوحاتها اسم الدولة التي يمثلها ، بل إنهم جعلوا لكل واحد منا سيارة خاصة به ، ليس معه غيره مع أننا كان يمكن أن تكفينا سيارة

واحدة ويكون هذا أكثر فائدة لنا ، لأننا نتحدث أثناء الطريق ونأمن من الافتراق بعده .

واخترقت السيارات شوارع (بندر سري بقاون) أو (مدينة سري بقاون) وهو والد السلطان الحالي الذي اسمه (عمر علي سيف الدين) و(سري بقاون) : لقب من القابه الكثيرة كما سبق وقد وجدناهم زينوا الشوارع التي مرت بها سيارات الوفود بزينة رائعة من الزهور وعقود المصابيح الكهربائية والبوابات



لباس البرونيات السابغ.

التجميلية الكثيرة التي تشتمل زينتها على مربعات ومثمنات من الأشكال المستوحاة من الفن الإسلامي ولم ارهم رسموا أي رسم لآدمي أو غيره على تلك البوابات ولا على غيرها من الأماكن التي زينت .

ولا شك في أنهم فعلوا ذلك انطلاقًا من ثقافتهم الإسلامية التي يحرصون على التمسك بها .

حتى النقوش واللوحات التجميلية كلها «مستوحاة» من فن إسلامي ، أي مما اعتاد المسلمون على وضعه وليس فيها من النقوش الأجنبية شيء إلا أنها أو أكثرها ذات طابع ملايوي وهو خليط ما بين العربي والمحلي وهو إلى العربي أقرب وذلك بخلاف طراز البناء الملايوي الذي هو خليط من الطراز الصيني في البناء والطراز المحلي وهو إلى الصيني أقرب حسبما يتبادر إلى أذهاننا نحن الغرباء عندما تقع أعيننا عليه .

ومن اللطيف الجميل في الأمر أن النساء هنا حتى المتعلمات اللاتي يرافقن بعض الوفود عليهن لباس سابغ ساتر ومنهن واحدة اسمها الكامل (الحاجة مزنون بنت حاجي إبراهيم) تعرف العربية جيدًا وعملها مدرسة في كلية إسلامية وعندما رأيت لباسها لم أتذكر أنني رأيت لباسًا ساترًا مثل الذي عليها وقد خصصوها لمرافقة اسرة زميلي السفير فوزي شبكشي التي احضرها معه إلى (بروناي) حتى شرطيات المرور عليهن لباس ساتر وإن كان ايضًا لا يعوقهن عن الحركة في أداء عملهن في تسيير السيارات .

واستمر مرور السيارات تحت الأقواس ومعالم الزينة التي يخيل إليَّ أنهم قد تجاوزوا الحد فيها كثرةً .

والجميل فيها أنها مكتوب عليها باللغة الملايوية وبالحروف العربية بخطوط جميلة تكاد تجزم على البعد بأنها مكتوبة بالعربية فتأنس بذلك في هذا الركن النائي عن بلادنا العربية ، ولكنه الإسلام الذي شرف الله به العربية وأعز به

العرب حتى صارت حروف لغتهم هي التي تستعمل في هذه البلاد التي قطعت إليها من بلادنا مسافة بالطائرات تعادل المسافة إلى لندن ما يقرب من المرتين أو تساوي المسافة من المملكة العربية السعودية إلى نيويورك .

ابتسامات الثغور وابتسامات الزهور :

الجنس الملايوي : جنس ودود هكذا عرفناه في أكثر اقطاره وأمصاره فيما عدا الفلبين إن صح أن تسمى من بلاد الجنس الملايوي وتلك لها حديث آخر محله كتاب : (نظرة إلى الفلبين بين زيارتين رسمية وخاصة) الذي لايزال مخطوطًا .

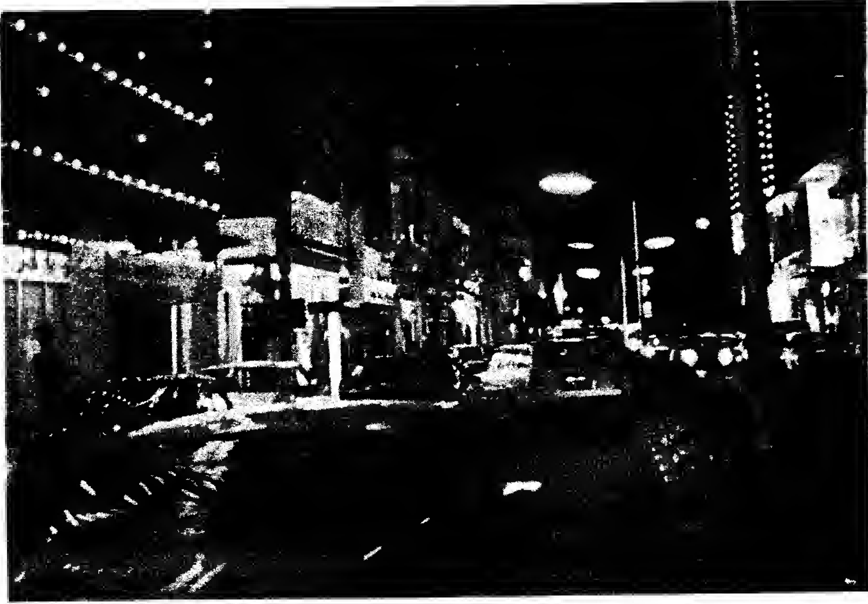
ومن مظاهر الود في هذا الجنس كثرة الابتسام ، وعدم الوقاحة في الكلام ، والمشي الرويد ، حتى تظن بعضهم إذا مشى كأنما هو خاتل صيد .

إضافة إلى ما هو مشهور مذكور عنهم من قلة الجرائم فيهم وغلبة الهدوء على طبائعهم .

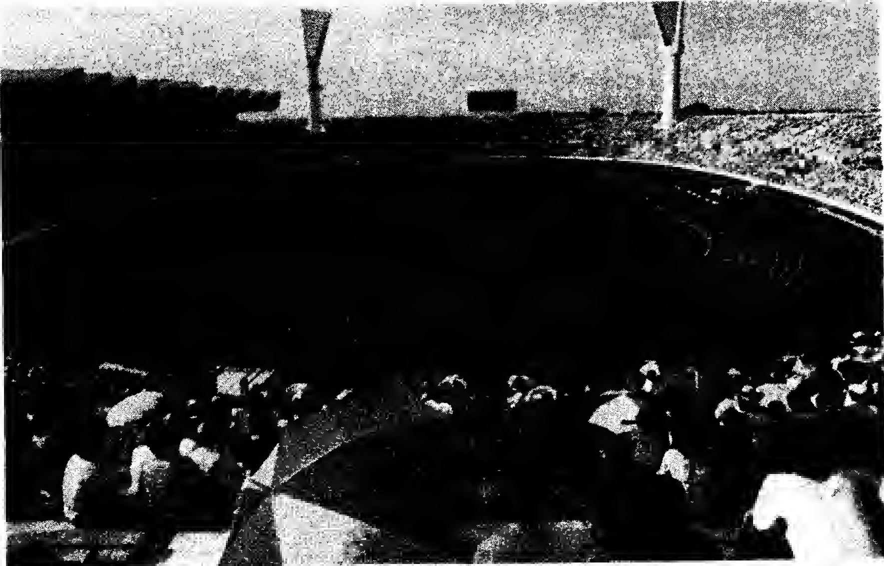
وفي هذا الصباح الندي الجميل الذي لم تطلع شمسه بعد حتى كأنه وقت أهل الجنة التي ليس فيها شمس ولا قمر ، وعندما سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ عن كيفية الاستنارة فيها من دون شمس أو قمر ، قال له الرسول ﷺ : إنها مثل ساعتك هذه . وكان الوقت قبل طلوع الشمس بقليل .

كانت الزهور التي غرسوها في الشوارع والميادين والحدائق التي مر بها الموكب كأنما تشارك الملايويين الابتسامات العذبة المنوعة التي تجمع بينها البراءة والصدق في الابتسام .

وبخاصة في هذا اليوم الذي عدوه عيدًا من أعيادهم والحقيقة أنهم ينبغي أن يعتبروا أن أيامهم كلها أعياد ماداموا يعيشون في أمن وإيمان . وغنى في الأوطان ، لا سيا وهم قد ملكوا أمرهم كله منذ أن دخل هذا العام .



وقبل الوصول إلى مكان الاحتفال وهو الملعب الرياضي مررنا من تحت بوابة رئيسية من البوابات التي أقاموها للزينة ، فوجدناهم قد جعلوا فوقها قبة مسجد ذهبية كبيرة رمزًا للإنتماء الإسلامي ، وعلى جانبيها بابان صغيران ، على كل واحد منهما قبة مسجد صغيرة .



في الملعب الكبير :

هذا الملعب الرياضي الكبير كانوا أرونا اياه فيما طافوا بنا عليه من أبنية كانت تشاد بل من أحياء كانت تقام ، ورأيناه في ذلك الوقت قبل أحد عشر شهرًا لم يكتمل قد اكتمل الآن وأصبح في غاية الجمال والإتساع والتنظيم .

وعند الوصول كان أول مظهر من مظاهر العجز عن استيعاب هؤلاء الضيوف الكُثُر ليس ذلك بسبب ضيق في المكان فهو واسع بل يتسع لأضعاف عدد الضيوف ، ولكن في عدم النظام . فقد أوقفنا المرافقان وراحا يبحثان عن مكان الوفد السعودي وكان المفروض أن يعرفاه من قبل . وانتظرنا واقفين فترة من الوقت نحن وسائر الضيوف حتى مللنا ذلك . ثم قادونا إلى مكاننا وكان في الجانب المخصص للسفراء لأنهم جعلوا شرفتين عاليتين : إحداهما : للسلطان وضيوفه من رؤساء الدول أو ممثليهم ، وقد حضر منهم الرئيس ضياء الحق رئيس الباكستان وملك ماليزيا (شاه أحمد) ونائب رئيس بنغلاديش والأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا ممثلاً لملكة بريطانيا ، ورئيس جمهورية مالديف .

والشرفة الثانية فيها رؤساء الدول ومنهم رئيس وزراء سنغافورة (لي كوان يو) ورئيس وزراء ماليزيا . ورئيس وزراء تايلاند .

وأسفل من هاتين الشرفتين العاليتين شرفة وسطى فيها الوزراء ، وقد حضر عدد منهم على سبيل المثال وزير من البحرين ، ومن عمان ومن بعض الدول الإفريقية .

وأيسر تلك الشرفة كان للسفراء ومن في مرتبتهم ، وقد جعلونا منهم والحقيقة أن الوفد السعودي هو في هذه المرتبة ، فهو سفير جلالة الملك في طوكيو وأنا لا أدري في أية مرتبة أكون عند السياسيين ولكن وظيفتي السابقة وهي الأمين العام للدعوة الإسلامية تعادل من ناحية الوظيفة مرتبة سفير وهي مرتبة وكيل وزارة أما وظيفتي الحالية في رابطة العالم الإسلامي فهي التي تسمى



المؤلف بين السفير فوزي الشبكشي إلى يساره والشيخ عبد المعز الجزار.

في المملكة العربية السعودية بالممتازة وهي أعلى من الأولى وهي مرتبة نائب وزير. وليس هذا هو المهم في أمري وإنما المهم أن وفد المملكة العربية السعودية شخصان أحدهما من وزارة الخارجية وهو أحد السفراء السعوديين في المنطقة ، والثاني من رابطة العالم الإسلامي ، ولكن زميلي في الوفد السفير فوزي شبكشي ظن أنني سأحضر لتمثيل رابطة العالم الإسلامي فأخبر سفير بروناي في ماليزيا بذلك فأبرق هذا إلى بروناي وظنوا أنني جئت أمثل الرابطة مع أنهم لم يدعوا الرابطة ولا غيرها من الهيئات الدولية وإنما دعوا الحكومات ولكنني عندما وصلت (بروناي) أوضحت لهم ذلك .

ومن الملاحظ من أوجه النقص في التمثيل العربي أن حضور العرب في هذا الاحتفال محدود فمعظم الأقطار العربية لم يحضر لها ممثلون وبعضها كالأردن ومصر أرسلت سفراءها في ماليزيا لحضور هذا الاحتفال .

والوفد العربي الكبير أو المناسب هو الوفد العماني الذي تألف من ثمانية أعضاء أربعة منهم من العاملين في الإعلام كانوا بملابسهم العمانية المعهودة واقفين أمام مصورات التلفاز في المنصة المعدة لذلك ، وكانوا هم الشاهد الواضح على حضور الإعلام العربي الإسلامي إلى هذه المنطقة .



أثناء الاحتفال السفير فوزي الشبكشي يصغي للمؤلف وهو يتحدث باهتمام

ومن اللطيف في الأمر أن الوفد الفرنسي وهو وفد كبير العدد قد أحضر معه أحد اللبنانيين وذلك لكونه يعرف العربية ويعرف التعامل مع المسلمين بصفته مستشارًا للوفد .

أما الوفد المصري فهو يتألف من سفير مصر في ماليزيا ووكيل الجامع الأزهر الشيخ عبد الحكيم نعناع ، والشيخ عبد المعز الجزار من إدارة البحوث في الأزهر فهم مثلنا أرادوا أن تشارك هذه المؤسسات الدينية الهامة في احتفال

القطر الإسلامي (بروناي) باستقلاله رغم كون احتفاله كان احتفالاً سياسيًا وليس دينيًا .

والنظام هو السائد في الأمكنة عند الجلوس ، والهدوء هو الغالب فهذه هي طبيعة القوم وكأنما غلبت على ضيوفهم الذين كان أكثرهم من ذوي الأقدار البعيدين عن الضوضاء والفوضى في المعتاد . ومنهم رجال من رجال المال البارزين مثل (عدنان خاشجقي) من المملكة العربية السعودية ومديري بنوك عالمية وشركات كبرى .

وكما غلبت طبيعة القوم في الهدوء على ضيوفهم غلب الستر أو بتعبير أدق اللباس الساتر على نساء ضيوفهم ، فالاحتفال رسمي عالمي وقد خلطوا النساء بالرجال لأن السلطان يترأس هو وزوجته الإحتفال ، ولذلك حضر طائفة من المدعوين ومعهم زوجاتهم ولكنهم أو لكنهن راعين طبيعة القوم ورغبتهم الدينية فكان اللباس السابغ هو الشائع .

والحمد لله لا مطر :

سألت أحد الإخوة (البروناويين) عما إذا كانوا يتوقعون مطرًا ؟ فأجاب : لا ليس هناك مطر ولله الحمد ، فقلت له : إنكم تحمدون الله على عدم نزول المطر فقال : نعم لأنه كثير عندنا ، فالموسم ليس موسم الأمطار ومع ذلك ينزل المطر في المساء في الغالب . أما في الصباح فإنه لا ينزل في الغالب إلا في المواسم ، وليس هذا الوقت منها .

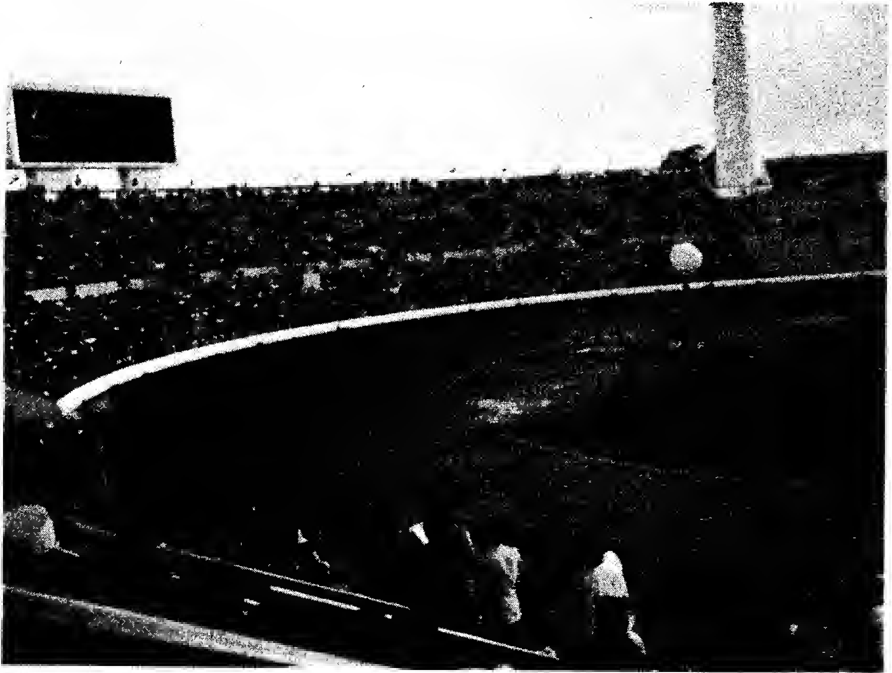
فقلت سبحان الله العظيم :

عجبًا للناس في أرزاقهم ذاك عطشان وهذا قد غرق

نحن نحمد الله تعالى إذا سمعنا بنزول مطر قليل ولو كان على مسافة بعيدة داخل بلادنا وأنتم تحمدون الله على عدم نزول المطر !

وعلى ذكر المطر والجو أقول : إن الشرفات في الملعب هي في جهته الغربية وعندما أشرقت الشمس لم تلبث أشعتها أن أصبحت حارة بل شديدة الحرارة وهي تصلنا رغم أن سقف الشرفات التي نحن فيها مظل من فوق فكأننا في رواق .

وقد لاحظت أن كثيرًا من أهل المنطقة وبخاصة من النساء قد أسرعوا يغطون وجوههم عن الشمس بكتاب كان المسئولون عن الاحتفال قد وزعوه على الوفود يتضمن بعض الإيضاحات. بخلاف الاجانب من الأوروبيين والأمريكيين الذين لم يفعلوا ذلك محبة منهم في الشمس ولأنهم لم يعرفوا آثارها السيئة على الجسم في المناطق الإستوائية والشبيهة بالإستوائية إذا طال ذلك .



جانب من الملعب أثناء الاحتفال.

أما جهات الملعب الثلاث الأخرى فليست مظللة ولا شك في أن الذين يكونون فيها إنما يعتمدون على مظلاتهم الخاصة لأن الناس في هذه المناطق قد اعتادوا على اتخاذ المظلات التي تقيهم الشمس الحارة أو المطر الكثير.

ومع ذلك فإن كثيرًا من الجالسين إن لم نقل أكثرهم من الذين تسللت إليهم أشعة الشمس الاستوائية أوهم الذين كانوا جاؤا إليها قد تركوا مقاعدهم وآثروا البقاء واقفين في بهو المدخل للملعب فهو إضافة إلي كونه مكيف الهواء فأن فيه مائدة عامرة بالشاي والقهوة والحلوى والمشروبات الباردة .

بدء الإحتفال :

كان من المقرر حسب البرنامج الذي وزعوه علينا أن يبدأ الاحتفال في السابعة والنصف عندما يحضر السلطان في هذا الموعد ولكنه لم يحضر إلّا في التاسعة إلا الثلث .

وعندما دخل بدأ السلام السلطاني فالنشيد الوطني وظل الناس جميعًا وقوفًا حتى انتهى كما هو المعتاد .

ثم ابتدأ مذيع الحفل كلامه بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) وفي هذه الأثناء شكل جموع من الناس كانوا جالسين في الجهة المقابلة من الملعب بمظلاتهم الملونة كتابة البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) على مدى يمتدُ حوالي خمسين مترًا .

وطبيعي أن هذا أمر يحتاج إلى مران طويل وأنهم قد مرنوا عليه .

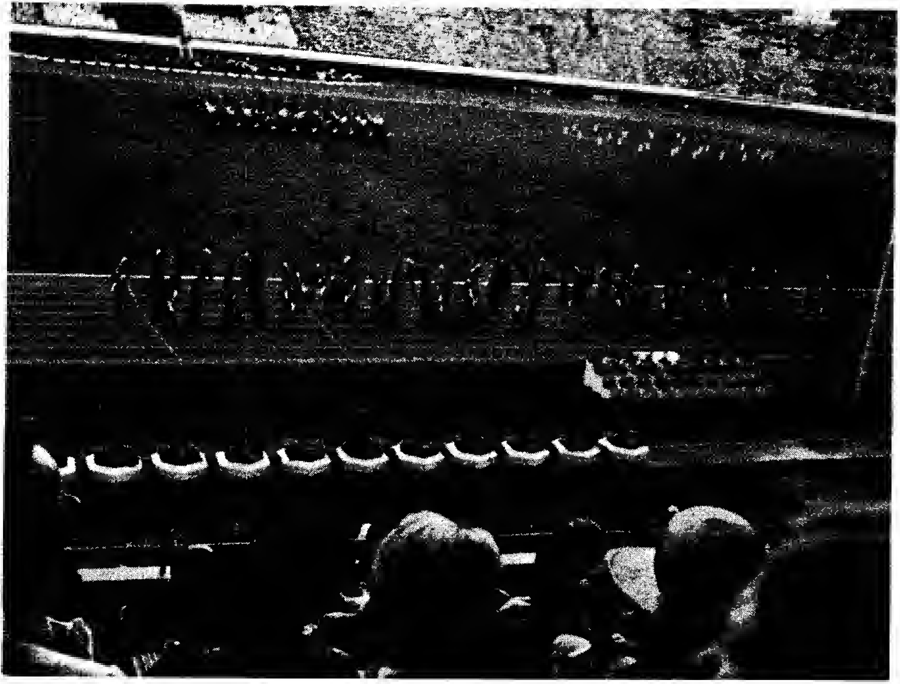
وبعد ذلك أخذ أولئك المقابلون للمنصات الرئيسية يشكلون بمظلات ملونة يحملونها شكل علم بروناي بألوانه الأصفر والأبيض والأسود يتوسطه الشعار على هيئة تاج باللون الأحمر المؤلف من هلال كتب في أسفله بالعربية (الدائمون المحسنون بالهدى) وتحته بالعربية (بروناي : دار السلام) . ويدين مرفوعتين وجناحين فوقه وفوق ذلك علَم .

وقد تكلم المذيع كلمة قصيرة بالملايوية أعقبها كلمة بالانكليزية عند افتتاح الاحتفال .

ثم اندفعت إلى الملعب طائفة من الشبان جاءوا من جهتين فيه متقابلتين وأخذوا يشكلون بأجسامهم رموزًا معنوية منها ما اسموه (رمز التقدم والعلم في بروناي) .

ثم دخلت طوائف أخرى من الشبان أو الشابات والملاحظ أن الشابات يرتدين لباسًا ساترًا تمامًا بحيث يستر جميع الجسم ، ويضرب إلى الكعبين ، ومع كل واحدة منهن منديل أحمر فوقفوا جميعًا أمام المنصة الرئيسية التي فيها السلطان ، وأخذت الفتيات يحركن مناديلهن ويتمايلن يمينًا وشمالاً يرقصن رقصًا محتشماً إن كان في مثل هذا الرقص احتشام إلّا أنه ذكرني بما تفعله النساء عندنا في الأعراس إذا لم يكن يراهن رجال أجانب وهو أنهن يتمايلن في الرقص ويحركن الأطراف السفلى من أثوابهن السابغة وهؤلاء (البروناويات) يحركن مناديلهن ويتمايلن مثلهن .

وقد لبثن طويلاً وهن يفعلن ذلك أمام السلطان ثم انقسمن مع الشبان الذين كانوا معهن إلى فريقين انصرف كل فريق إلى جهة من حوائط الملعب وغابوا عن الأنظار ، فأسرع شبان يزيد عددهم على المائة يندفعون إلى أرض الملعب ومعهم فرقة موسيقية مؤلفة من أربعين فردًا وأخذوا يؤدون استعراضات رياضية على أنغام الموسيقى الوطنية التي هي غير موسيقانا العربية الشرقية ، وإن تكن شرقية مثلها ولكنها ليست بالغة البعد عنها فيما تتخيله الأذن ويكاد المرء تلمح اذنه فيها سمة ضعيفة من سمات الموسيقى الصينية ولكن بمقدار قليل جدًا .



مجموعات من الشبان أثناء الاحتفال

وعندما اختفى هؤلاء دخل إلى الملعب شبان آخرون قد ارتدوا البياض وهو اللباس الوطني المؤلف من قميص أطول من القميص الإفرنجي وسروال وفوطة قد لفت حول الوسط وعلى الرأس طربوش سميك .

وقد خالف هؤلاء الطريقة المتبعة في الدخول إلى الملعب التي كانت هي الغالبة وهي أن يدخل الداخلون والداخلات وهم يسيرون الهوينا ، بل كانوا يركضون ركضًا فوقفوا أمام السلطان وهم يؤلفون من صفوفهم وتجمعاتهم أشكالاً رمزية لم أجدها طريفة ولا جميلة في عيني لأن صفوفهم غير مستقيمة ، وحركاتهم غير كاملة التنظيم ، وربما كان السبب في ذلك أنهم لم يتمرنوا عليها تمرينًا كافيًا .

الفراشات الخضر :

اختفى هؤلاء في داخل حيطان الملعب غير مأسوف عليهم ، فانبثقت

حيطان الملعب عن شابات لبسن لباسًا أخضر كاملاً ماعدا وشاحًا أرجوانيًا عريضا يمر من فوق الكتف إلى تحت «الابط» وهن بهيئتهن هذه يشبهن الفراشات الخضر وبخاصة في هذه البلاد الكثيفة الخضرة ، وإذْ أخذن يتراقصن وهن يتمايلن يمنة ويسرة فإنك لا تستطيع إلَّا أن تتذكر الفراشات المرحة إلا أنهن يتحركن بهدوء واتزان يخيل اليك أنه ليس فيه شيء من المرح . فتتذكر منظر الفراشات التي تتخيلها حزينة .

ومن أجمل ما فعلنه أن شكلن نجمة ثمانيّة الأضلاع كالنجمة المشهورة في فن الزينة الإسلامية القديمة التي تكون في المساجد وقصور المسلمين العريقة .

ثم أخرجن من أيديهن أو من أكمامهم ـ لا أدري ـ مراوح تقليدية من الخوص وهن يصنعن شكل زهرة جميلة قالوا : إنها من الأزهار التي تتميز بها (بروناوي) وليست معروفة في غيرها من البلاد .

هكذا قالوا مع أن بروناي ليست جزيرة متميزة عن غيرها مثلاً وإنما هي جزء أو جزءان من جزيرة كبيرة اسمها (بورنيو) وتسمى الآن باللغة الملايوية (كلمنتن) وتملك اندونسيا جزءًا منها وتملك ماليزيا جزءًا آخر .

ثم أخرجن من جيوبهن أو جنوبهن مناديل أَرجوانية اللون وأخذن يشكلن وهن يلوحن بها ما أسموه الشكل الذي يمثل انتماء البلاد إلى الإسلام .

وهو على هيئة نجمة كبيرة ثمانيّة الأضلاع بين كل ضلعين من أضلاعها هلال .

ثم الفلاحـــون :

عندما اختفت الفراشات الخضر ظهرت مجموعات كبيرة من الشبان يمثلون الفلاحين ويتألفون من مجموعات عديدة تلبس كل مجموعة لباسًا متميزًا في لونه كالأخضر والأصفر والأدهم أو ما يسمى بالبني .

والذي يجمع بينهم في اللباس هو القبعات العريضة الواسعة فالفلاح الذي يعمل تحت الشمس الاستوائية لابد له من قبعة عريضة تقي رأسه ، وما يبين من جسمه شرأشعتها اللافحة .

وبدأت هذه المجموعات الكبيرة في تمثيل عملية البذر والحرث ثم الحصاد ، وقبل أن ينصرفوا شكلوا بأجسادهم شكل زهرة كبيرة .

إن الفراشات اللاتي سبقنهم في المثول في الملعب يناسب أن يكون بعدهن الفلاحون لأن الفراشات الإستوائية كثيرة وهي تعيش مختلطة بالفلاحين .

الصيادون :

إلا أن الذي لا يجد المرء فيه مناسبة واضحة هو مجيء طائفة من الشبان قالوا : إنهم يمثلون الصيادين والمراد بهم هنا صيادو السمك ولصيد السمك في هذه البلاد التي تكثر فيها المياه سواء في أنهارها ونهيراتها الداخلية أو في وقوعها على سواحل بحر الصين الجنوبي أهمية كبيرة لأنه كان ولايزال مصدرًا من مصادر اللحوم الطرية للسكان .

وكان في القديم يكاد يكون المصدر الوحيد أو الشائع لأن الجواء ـ جمع جو ـ تحت خط الاستواء أو ما قرب من بلاد الغابات غير ملائمة لنمو حيوان اللحم بسبب وجود حشرات وأمراض تحد من ذلك في القديم ولقلة المراعي في الأراضي المستوية لأن معظم البلاد مغطى بالغابات .

وليس في عرضهم هذا شيء ممتع ما عدا تشكيل قارب صيد بشراعه حيث مثلوه بأجسادهم .

والنفـــط !

وقد اختفى هؤلاء بسرعة مثلما جاؤا بسرعة مع أن صيد السمك لا ينفع

فيه الإسراع بل لابد له من الصبر .

ودخل من الملعب ثلاثون شابًا يحملون علمًا كبيرًا لبروناي وهم يسيرون على أنغام الموسيقى . فوقفوا أمام السلطان وهم كذلك من دون حركة تذكر إلا أن الحركة جاءت عندما دخلت طوائف أخرى من الشبان عددهم ستمائة فاصطفوا أمام السلطان أيضًا وقد أحاطوا بعلم بروناي وقال المذيع : إن هؤلاء من موظفي الشركات ومنهم ثلثمائة وثلاثون من موظفي شركة شل للنفط وهي الرئيسية التي تتولى استخراج النفط وتكريره في بروناي .

وهم يرتدون لباسًا أبيض خالص البياض كلباس ضباط البحر وعليهم قبعات بيض غير عريضة فأدوا قسم الولاء والنظام للسلطان بعد أن أدوا التحية له .

وذلك أمر مهم لما يمثله النفط والعاملون فيه من أهمية اقتصادية ميزت (بروناي) عما حولها من بلاد الملايو .

ثم شكلوا بمظلات كانوا يحملونها مطوية من قبل فنشروها أشكالاً لكيفية البدء في التنقيب عن النفط في باطن الأرض وفي كيفية استخراجه ، وكل هذا برموز لا يعرفها إلا من أخبر بما تمثله قبل ذلك .

ثم كتبوا بمظلاتهم باللغة الملايوية ذات الحروف العربية الجميلة (بروناي دولة إسلامية مستقلة) وقد ساعد على جعل الكتابة واضحة ألوان المظلات التي يحملونها بحيث كانت تحف بالكتابة ألوان أخرى من ألوان المظلات .

وهذه العبارة من أجمل ما في هذا الاحتفال شكلاً ومضمونًا فالشكل واضح والمضمون الإعلان على الملأ بأن دولة (بروناي) دولة إسلامية وهو أمر على بداهته بالنسبة إلى البلاد التي يقطنها المسلمون لم يستطع أو لم يرد حكام بعض البلدان العربية أن يعلنوه صراحة .

ثم جاءت أفواج من الشبان بأيديهم طبول صغيرة يقرعونها قرعًا هادئًا يتناسب مع سيرهم الهادىء وتجمعوا في الملعب مع أعداد أخرى من الشبان من ذكور وإناث .

وهم يصفقون بأيديهم تصفيقًا متناسبًا مع نغمات تلك الطبول كما يفعل بعض أهل الخليج في الأغاني الخليجية المحلية .

ولا شك في أن هذا جزء من الأغاني أو الطرب الملايوي المحلي الذي ينتسب إليه أهل بروناي .

وكنت أتأمل الناس في هذا الملعب الجميل الواسع فأرى أن اللون الأوروبي كثير بين الزوار يليه اللون الملايوي لأن معظم دول المنطقة قد اشتركت منها وفود في هذا الاحتفال الكبير الذي تقيمه دولة نفطية غنية .

أما السمر الذي هم في اللون العربي المعتاد فهم قليل ، وأقل من الجميع اللون الأسود ، فلم يشترك من أهله إلا القليل رغم كون هذه البلاد بلادًا إسلامية إلا أن بعدها الشديد عن إفريقية وميل أهالي إفريقية إلى الاقتصاد أو لنقل : عجزهم عن تحمل نفقات الوفود التي تذهب بعيدًا قد عاقهم عن الحضور .

إضافة إلى شيء عام في أصل توجيه الدعوة وهو أن أهل (بروناي) لم يدعوا بعض الدول المنحازة إلى المعسكر اليساري الدولي ولا من يخشون أن يسبب لهم وجود وفدهم مشكلات أمنية .

وبطبيعة الحال أن القول هنا في الألوان الوافدة وأما أهالي البلاد فقد حضر الاحتفال منهم ألوف مؤلفة وكلهم هادىء الطبع ، وافر الأدب ، مما جعل الانضباط الكامل أثناء الاحتفال هو الشائع .

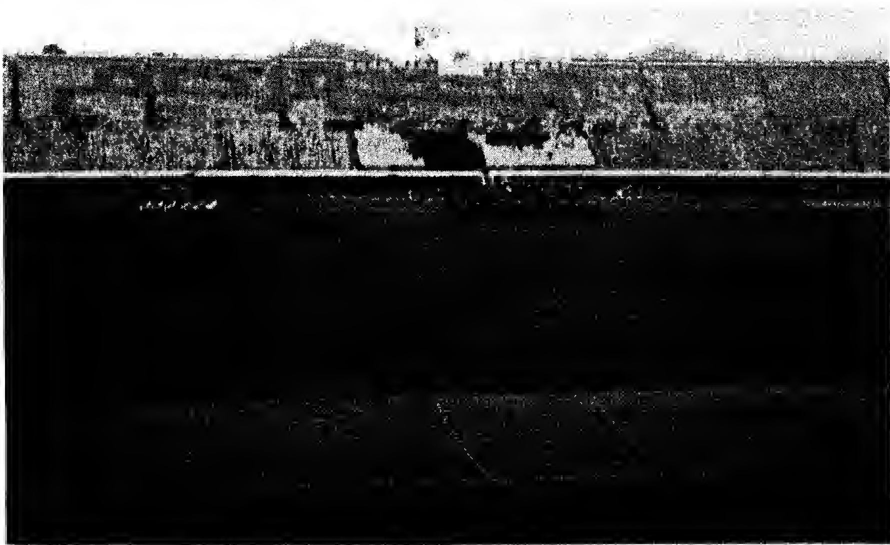
ثم أقسمت مجموعات من الشبان هؤلاء أمام السلطان بالمحافظة على دولة بروناي إسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة .

وهذا أمر مهم أيضًا لأنهم قد نصوا في دستورهم على أن مذهب الدولة هو مذهب أهل السنة والجماعة وبذلك قطعوا الطريق بصفة رسمية على أهل المذاهب المنحرفة من الطمع في أن يكون لها موطيء قدم في (بروناي) .

هذا وقد ارتفعت الشمس فسمحت للرواق الذي يظل مكاننا أن يبسط ظله . ويمنع عنا اشعتها المحرقة ثم غام الجو قليلاً فحجب أشعتها عن الجميع .

الله أكبر .. الله أكبر :

وقفت الموسيقى . وانتهت الفقرات التي كانت تؤدى فصدح مكبر الصوت يقول : (الله أكبر .. الله أكبر) وجعل الناس الذين في الركن المقابل من الملعب يشكلون بمظلاتهم الملونة من فوق رؤسهم كتابة هذه الجملة المحببة (الله أكبر .. الله أكبر) .. وقد اختفوا تحت القبعات حتى يخيل إليك أنهم قد ابتلعتهم كراسيهم وذلك لأن مظلاتهم كبيرة والملعب واسع . ثم كتبوا بعد ذلك وبالطريقة نفسها الشهادتين (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) .



المواطنون البروناويون يشكلون بمظلاتهم أشكالاً مختلفة وكتابات متنوعة وقد التقطت لهم هذه الصورة ونحن في الجهة المقابلة.

وهنا انطلق (بالونان) كبيران كانا مثبتين عن يمين الملعب وشماله فارتفعا بعلمين لدولة بروناي الإسلامية .

وفي الوقت نفسه انطلقت من خلف الملعب من الخارج أسراب عديدة من بالونات صغيرة ملونة من التي تطلق للزينة .

ثم كتب أولئك الجالسون في الجهة المقابلة بمظلاتهم أيضًا كما فعلوا في الجملتين السابقتين كلمة (الحمد لله) .

وهذه الجمل الحبيبة : الله أكبر والشهادتان ، والحمد لله هي التي ميزت ويأملون في أن تميز سلوك دولتهم الفتية ، أعانهم الله على تحقيق ذلك .

حفل سياسي دون سياسة :

انتهى هذا الاحتفال في الساعة الحادية عشرة والنصف بعد أن استمر ساعتين إلا عشر دقائق . ورغم كونه احتفالاً سياسيًا فإن السياسة لم تذكر فيه إطلاقًا إلا ما كان من أمر التأكيد على استقلال دولة بروناي وانتمائها إلى الإسلام من خلال فقرات الحفل .

فلم يتضمن أي خطاب سياسي لا من السلطان ولا من غيره . كما لم يتضمن أية كلمة خاصة من أحد .

كما لم يذكر سياسة البلاد مثلاً . ولا كيف ستتصرف في المستقبل ، وربما كان السبب في ذلك أنهم قد يكونون تكلموا في السابق في مناسبة إعلان الاستقلال في أول هذا العام الميلادي الحالي عن هذا الأمر .

غير أن مثل هذه المناسبة الكبيرة والاجتماع الحاشد مما تعتبره كثير من الدول فرصة للحديث عما تريد أن تتحدث فيه من أمورها .

كما لاحظت أنه لم يفتتح بالقرآن الكريم ولم يختتم بعزف السلام السلطاني من دون كلام قبله أو بعده .

وبعد انتهاء فقرات الحفل وقف الضيوف متراصين في مدخل الملعب حول موائد للشاي والمشروبات الباردة والحلوى يأخذها من يشاء بنفسه من دون أن يناوله إياها مناول من القوم ، وذلك لكثرتهم الكاثرة لأنني أعتقد أنه قد جلس على كراسي الملعب ما يزيد على ثلاثين ألف شخص .

ولم يكن هناك بدٌّ من الانتظار حول هذه الموائد لأننا أُخبرنا أن السلطان سوف يغادر المكان ، وأن على الضيوف الانتظار حتى يخرج غير أن الانتظار قد طال . فأخذ بعض الضيوف يغادرون المكان ولكن على قلة ، لأن مكان وقوف سيارات الضيوف أمام الباب الخارجي للملعب كان واحدًا وعدد سيارات الضيوف كثير جدًا .

فكان الموكلون بالسيارات ينادون على أرباب السيارات من الوفود ولا يعجزهم التعرف عليها لأن كل سيارة قد كتب على لوحتها اسم الدولة التي ينتمي إليها الوفد .

ووقفنا في الداخل حتى مللنا . ثم خرجنا إلى موقف السيارات . فوقفنا هنيهة ننتظر أن ينادى علينا وإذا بالسلطان يخرج وهو في هيئته التي عرفته عليها من المظهر المتواضع رغم الهالة التي اسبغها عليه الاحتفال بالاستقلال وهذه المظاهر الضخمة الفخمة في الأمكنة التي أقاموها من أجل الاستقلال .

وركب سيارة (رولز رويس) وكذلك فعل ضيفه الرئيس الباكستاني .

ثم أقبلت نسوة جميلات واضح عليهن أنهن ينتمين إلى الجنس الملايوي ولكن بشكل مخفف وتظهر عليهن علامات الثراء والنعمة وقال لي المرافق : إنهن أخوات السلطان، ولم أَرَ معهن من المرافقين أو الحراس ما يلفت النظر كما لم أَرَ من الجلبة عند خروج السلطان ما يكون أمام مواكب الامراء الأغنياء وقد يكون سبب ذلك حداثة عهدهم بهذه الأمور ، أو أنه من أجل ضيوفهم ذوي الأقدار .

وكان السلطان يرتدي الملابس العسكرية وكذلك حارس بجانبه . ولم يكن معه من الحراس مثلما يظن أن يكون مع أمثاله .

البرنامج العجيب :

كانوا قد وزعوا علينا برنامج الاحتفال الذي سيدوم ثلاثة أيام أهمها هو اليوم الأول إلاَّ أنه خلا من أية إشارة إلى السلام على السلطان أو مقابلته وكان المفهوم في مثل هذه الأحوال وفي المناسبات الهامة أن توضع فقرة تتضمن لقاء رؤساء الوفود ولو لمجرد السلام على رئيس الدولة كما أن البرنامج لم يتضمن أية دعوة لغداء أو عشاء ما عدا العشاء في هذه الليلة ، وإلَّا فإن جميع الوجبات قد كتب فيه أن الغداء أو العشاء خاص أي : كل يتناوله حسبما يريد لذلك تغدينا في الفندق كما فعل جميع الضيوف .

وكانت الفقرة الثانية المقررة للاحتفال في الساعة الثانية ظهرًا غير أنها ألغيت من البرنامج وأخبرونا أنه ليس هناك برنامج إلَّا في السابعة والنصف مساء ولكن علينا أن نكون جاهزين للانطلاق من الفندق في السادسة والنصف .

وقد أخلدت إلى الراحة بعد الغداء وبخاصة أنني شعرت بشيء من الاسهال أزعجني لأنه أعاد إلى نفسي ذكرى المرض الذي أصبت به في هذا الفندق وهو قيء شديد وإسهال لبثت أحس بأثره فترة من الوقت بعد ذلك .

ومما زاد من خوفي أنني التقيت صباح أمس في مطار سنغافورة بأحد الاخوة (البروناويين) العائدين إلى بلادهم فأخبرني أنه قد حضر إلى سنغافورة للعلاج ، وسألته عن مرضه فأجاب إنه قيء وإسهال أصيب به منذ تسع سنين ، وما يزال يعالج منه وذكر أعراضًا له كالتي أصبت بها .

أما أكثر الضيوف فقد انتهزوا الفرصة للخروج إلى جولة على المدينة مع

مرافقيهم ، وبعضهم ذهب إلى حضور افتتاح معرض للرسومات افتتحه والد السلطان في بناء على ميدان قريب من الفندق يسمى (ميدان تشرشل التذكاري) وتشرشل كما نعلم هو السياسي الانكليزي المعروف الذي قاد بريطانيا إلى النصر على ألمانيا مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، ولكنه رجل أجنبي لا تربطه بهذه البلاد الإسلامية الملايوية إلّا رابطة الاستعمار ، غير أن الأخوة هنا لم يغيروا اسم المكان ولا رسمه ، وربما يفعلون ذلك بعد ذلك .

والذين حضروه قالوا : إنه غير مهم ولا يستحق الحرص على حضوره ، ولذلك لم يحضره إلا قلة من الضيوف .

قصر الخلافــة :

لا أدري كيف زل فمي ، وتابعه قلمي ، عندما كتب هذا العنوان . فالخلافة بعظمتها واتساعها لا يصح أن تذكر في هذا المقام مقام الحديث عن سلطنة (بروناي) الصغيرة المساحة القليلة السكان .

إلا أن القصر الذي دخلناه اليوم عندما ذهبنا لحضور مأدبة العشاء التي أعدها السلطان لضيوفه وغيرهم من كبار شعبه هو قصر يليق بالخلافة إن لم يكن أكبر حتى من قصور الخلفاء .

فهذا القصر كنت قد رأيته وزملائي في المرة الماضية لم يكتمل وعجبت من ضخامته واتساعه من دون أن يكون قد تم وزيِّن .

واليوم رأيناه بعد أن اكتمل فكان أعظم اتساعًا مما تخيلناه ، وأكثر نفقة مما قدرناه . بل أرحب أماكن مما قد رأيناه . إن صح ما قلناه .

وكنت قلت علي استحياء من المبالغة آنذاك : إنه أكبر قصر في جنوب آسيا الشرقي واليوم كتبت جريدة سنغافورية تقول : إنه أكبر قصر في العالم .

ولك أن تتصور أكبر قصر في العالم سواء أكان في هذه العبارة غلو في

التعبير أم لم يكن لأصغر دولة في العالم سواء أكان في هذه العبارة ـ أيضًا ـ مبالغة في التقدير أم لم يكن .

ولكيلا أطيل عليك في الحديث عنه أورد المعلومات التالية التي قيلت لنا عنه : يشتمل القصر على ألف وثمانمائة غرفة والقاعة الرئيسية فيه التي فيها السلطان وبعض المختارين من ضيوفه اتسعت لأربعة آلاف شخص .

وقد بلغت تكاليف بنائه خمسمائة مليون دولار واستغرق بناؤه ثلاث سنوات ، وكان متوسط عدد العمال فيه أربعة آلاف عامل .

وتبلغ مساحته خمسة هكتارات .

ولا أشك في أن الذين جلسوا إلى موائد الطعام فيه لا يقل عددهم عن خمسة عشر ألف شخص لأن هناك أروقة واسعة مستطيلة فيه قد ملئت بالموائد وجلست إليها أعداد هائلة من الناس من الضيوف ومن أهل البلاد .

لقد وصلنا إلى القصر في السابعة والنصف ووجدنا أمامنا أعدادًا كبيرة من الناس قد وصلوا قبلنا . وعندما رأيته هكذا ذكرت المرة الأولى التي زرت فيها السلطان في قصره القديم المتواضع كما سبق .

وكان عدم الاستعداد لمثل هذا العدد من الضيوف في الترتيب هو الظاهر ، إذْ أخذ مرافقي يبحث عن اسمي بل عن مكان الوفد السعودي فترة طويلة مللت خلالها الوقوف ولم يهتد إليه فرأينا موائد منصوبة عليها بعض الأجانب من الأمريكيين واليابانيين فجلست فيها ثم رآني ـ وأنا بالملابس العربية وكل الضيوف مطلوب منهم في الدعوة أن يكونوا في ازيائهم الوطنية لقد رآني بعض الإخوة من وفدي مصر والبحرين فجاؤا وجلسوا إليَّ .

وانتظرنا أن يبدأ الحفل أو يبدأ الأذن بالأكل من الطعام فقد كان الطعام موضوعًا أمامنا على الموائد ، ولكنه مغطى وهو في أوان معدنية مغطاة بغطاء محكم .

ولما طال الانتظار قدرنا أن الطعام قد برد ، ولكن تبين لنا أن هذا غير صحيح لأنه مع كثرة الضيوف فإنهم قد جعلوه في أوانٍ في اسفلها ما أبقاه حارًا إلى أن تناولناه . ولا أدري أذلك من (الغاز) أو غيره .

ونزل المطر مدرارًا ، واستمر نزوله فترة فبرد الجو ، وأخذ الذين في أطراف الأروقة يتركون أماكنهم إلى الداخل .

وفي الساعة التاسعة إلا الربع حضر السلطان وأدت الموسيقى النشيد الوطني ثم سكت الجميع .

المائــــدة :

كان الأذن بتناول الطعام من غير كلام ، وإنما هو بفعل فعلوه وهو أنهم رفعوا الأغطية عن أوعية الطعام فبدا الطعام حارًا كأنما صنع لتوه وذلك إما لجمر وضعوه تحتها لا نراه نحن أو لغاز أشعلوه كذلك ، وبدا كل وعاء وهو يشبه الصينية مقسمًا إلى خمس زوايا وجزء سادس في الوسط فيه الأرز أما الأخرى ففي واحدة منها الإربيان وهو المسمى عندنا بالروبيان وعربيته التي ذكرها الجاحظ هي الإربيان ، ويسمى في مصر (الجمبري) ، وواحدة فيها لحم دجاج والثالثة فيها كبد مقلية والرابعة فيها خضروات مسلوقة .

وأما الفاكهة فإنها في اقفاص من الخوص كانت موضوعه على المائدة متباعدة معها الأشربة الباردة ، وأما الشاي والقهوة فإنه لا يوجد منهما شيء .

والطعام بمقادير كافية وافيةٍ ولكنه لا يتناسب مع البذخ العظيم بل الإسراف المبالغ فيه الذي بني به القصر ، ولا في كثرة أثاثه .

البداءة بالدعــاء :

عندما انتهى القوم من تناول طعامهم أو كادوا بدأ الاحتفال بدعاء بل هو ابتهال أكثره باللغة العربية وهو طويل مما ذكرني بدعاء القنوت الذي يدعو به

أئمة المساجد عندنا في شهر رمضان بعد التراويح من كل ليلة .

ومن اللطيف في الأمر أنه رغم طوله وكون الأجانب قد فهموا أنه دعاء من رفع الملايويين بل والمسلمين هنا أيديهم عنده فإن القوم لم يترجموه إلى أية لغة أخرى وإنما فهموا أنه يشتمل على آيات قرآنية لأنه قد تخللته آيات قرآنية فيها دعاء مثل الدعاء في آخر سورة البقرة ، وأخذ الأجانب يسألوننا عن معناه فأخبرناهم أنه بالعربية وأننا نفهمه ، فكان في هذا إشارة بعد صريح العبارة إلى انتماء هذه الدولة الفتية إلى الأمة الإسلامية ، وكان هذا أيضًا مدعاة لارتياحنا نحن المسلمين .

كلمة السلطـان :

أعقب هذا الدعاء فترة صمت غير قصيرة من مكبر الصوت . تبعتها أغنيتان أظنهما ملايويتين.

ثم بدأ السلطان يلقي خطابًا بالانكليزية ليس غير بحيث لم يترجمه هو ولا غيره إلى الملايوية . وكان خطابًا سياسيًا . بل هو الخطاب السياسي الوحيد في جميع الاحتفالات التي حضرناها حتى الآن .

وكان بدء الخطاب في الساعة العاشرة مع العلم بأن الموعد المحدد في بطاقة الدعوة إلى العشاء كان السابعة والنصف .

وحسبما فهمته من الخطاب الذي كان يلقيه السلطان بسرعة لم استطع متابعتها هو الحمد لله على نعمة الاستقلال ، وبأن البلاد سوف تواصل السعي في سياستها الهادفة إلى خير الشعب والسلام مع جيرانه .

ولم يعقب هذا الخطاب أي كلام آخر .

ثم بدأ النشيد الوطني يعلن انتهاء الاحتفال .

وعادت المشكلة من جديد تواجه الناس فالمطر كان ينزل بغزارة وموضع

وقوف السيارات التي ستقل الضيوف هو واحد . والسيارت كثيرة فبقي الضيوف واقفين لفترة طويلة بل طويلة جدًا عادوا أثناءها أكثر من مرة إلى التماس كراسٍ يستريحون عليها من عناء الوقوف الطويل .

وكان المتبع في إركاب الضيوف في هذا المساء كالمتبع في ظهر اليوم بأن تحضر السيارة فينادي شخص مبتل الثياب من وقوفه تحت المطر على اسم الوفد المكتوب على لوحة السيارة ، فينادي آخر واقف مع الجميع على وفد ذلك البلد .

وهكذا لم نصل إلى الفندق إلا في الساعة الحادية عشرة والربع وكنا قد غادرناه في السابعة فكان الوقت الذي استغرقه هذا العشاء والاستعداد له والعودة منه أربع ساعات .

يوم الجمعة ٢٣/جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ ٢٤ فبراير ١٩٨٤ م .

كانت الفقرة الوحيدة في احتفال النصف الأول من هذا اليوم هي استعراض عسكري قصير ولم أشهده لأنه سيضيع عليَّ نصف يوم أنا في حاجة إليه ، ولأن هذا الاحتفال سيكون رمزًا أو شكليًا بالنسبة إلى دولة بروناي الصغيرة التي لا تضمر عداء لأحد ولا يخافها أحد .

ومع ذلك فقد رأيت أكثر فقراته لأن بعض الآليات والجنود والسيارات العسكرية كانت تمر من الميدان المقابل لفندقنا فكنت أَرَاها من النافذة كما أن التلفاز كان يبث المناظر الرئيسية فيه . وقد اشتركت فيه قوة رمزية من الجيش والشرطة مع أن الجيش هنا لا يكاد يذكر في العدد .

في جامع عمر سيف الدين ثانية :

أتيح لي أداء صلاة الجمعة للمرة الثانية في جامع عمر علي سيف الدين .

وعندما وصلناه في الثانية عشرة والربع أي قبل الأذان بنصف ساعة وجدنا في الاستقبال صديقي الشيخ محمد زين بن سر الدين رئيس الشئون الدينية ومساعده الشيخ يحيي بن إبراهيم وطائفة من المشايخ وطلبة العلم الذين اجتمعنا بهم في المرة السابقة عندما كانت بلادهم خالية من الضيوف الأجانب ، وقلوبهم خالية من الاهتمام لهذه المناسبة الكبيرة الحاضرة وكانوا قد وقفوا لاستقبال السلطان وضيوفه الكبار من رؤساء البلدان ومن دونهم من الوزراء الذين سيحضرون الصلاة .

وقد فعلوا في الصف الأول هنا من المسجد ما يفعل في بعض الحفلات وذلك بأنهم كتبوا بطاقات عليها الأسماء ووضعوها في الصف تدل على المكان الذي سيصلي فيه كل واحد منهم .

وذلك بالنسبة إلى الجزء الأمامي غير المتسع من المسجد وهو لا يتسع إلا لثلاثة صفوف صلى في الأول السلطان على يساره مفتي بروناي وعلى يمينه ملك ماليزيا وعلى يمين ملك ماليزيا والد السلطان وعلى يسار المفتي رئيس باكستان ضياء الحق وهكذا والصف لا يتسع إلا لحوالي خمسة عشر شخصاً وفي الصف الثاني بعض الوزراء والمشايخ أما نحن ففي الصف الثالث من الصفوف القصيرة.

وكانت فرصة للسلام على صديقي الحاج عبد العزيز بن عمر رئيس وزراء (بروناي) السابق الذي قابلته في مكة المكرمة مرتين ثم كنا في ضيافته في بروناي وقد أصبح الآن وزيرًا للتربية والتعليم والصحة في الحكومة الحاضرة التي تألفت بعد استقلال البلاد وصار السلطان نفسه فيها هو رئيس مجلس الوزراء.

وبعد صلاة الجمعة تجلت البساطة في تعامل القوم والسماحة في هذا الدين الإسلامي الحنيف إذ أخذ المصلون يصافحون السلطان وضيوفه.

والغريب أنني لم أرَ أي جندي أو ضابط أو حارس على السلطان أو ضيوفه من رؤساء الدول والحكومات، وبقية الضيوف الأجانب إلا رجلاً واحدًا لا أدري هل صلى معنا الجمعة أم كان واقفاً في الحراسة لأن لم يكن أمامنا وإنما كان واقفًا في أيمن الصف الثاني.

أما نحن فقد أقبل المصلون على مصافحتنا وكان يمشي معي الأخ الحاج عبد العزيز رئيس وزراء بروناي السابق وظل القوم يصافحونني ويصافحونه مع أنه منهم حتى ركوب السيارة.

ولم يكن بعضهم يكتفي بالمصافحة، بل كان يعانق وبعضهم يجعل الإلتزام مع المعانقة وبعضهم يتمسح بأثوابنا حبًا في الإسلام وفي العرب الذين شرفهم الله بأن جعلهم حملة الإسلام إلى العالم.

مغادرة بروناي :

في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر هذا اليوم غادرت بروناي قاصدًا بانكوك ومنها سأسافر بإذن الله تعالى إلى (رانقون) عاصمة بورما. أما زميلي في الوفد السفير فوزي شبكشي فسيبقى إلى ما بعد يوم الأحد القادم يجري اجتماعًا مع المعنيين بالشئون الخارجية في (بروناي) لأننا لم نجد أي مسئول يفعل ذلك الآن بسبب انشغالهم باستضافة أولئك الضيوف الكبار الكثر.

وأما الحديث عن زيارة رانقون وبورما على وجه العموم فإنه في غير هذا المقام وسيكون في كتاب اسمه: «بورما كما رأيتها» بإذن الله تعالى وله الحمد والمنة.

فهرس

المطابع الأهلية للأوفست
الرياض ١١٤٦١ - ص.ب ٢٩٥٧ تلفون ٤٠٢٧٥٤٦

كتب في الرحلات للمؤلف

أولاً: كتب مطبوعة

١) في إفريقية الخضراء، طبع أكثر من مرة، وترجم إلى عدة لغات.
٢) [illegible] بلاد المسلمين الضائعين، نشره النادي الأدبي في الرياض.
٣) جولة في جزائر البحر الزنجي، طبع المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ١٤٠٢هـ.
٤) في شمالي بلاد الجبال، طبع مطابع نجد في الرياض.
٥) رحلة إلى جزر مالديف، طبع ٣ مرات ونشرته دار العلوم في الرياض.
٦) رحلة إلى سيلان، نشرته الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة.
٧) صلة الحديث عن إفريقية، نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٤هـ.
٨) مشاهدات في بلاد العنصريين، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة.
٩) شهر في غرب إفريقية، طبع في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض.
١٠) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية، طبع في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض.
١١) رحلات في أمريكا الوسطى، طبع في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض.
١٢) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي، نشره النادي الأدبي في مكة المكرمة.
١٣) إلى جنوب الجنوب الأمريكي، نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.
١٤) سياحة في كشمير، نشر دار العلوم للطباعة والنشر في الرياض.

ثانياً: كتب تحت الطبع

١٥) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ.
١٦) جولة في جزائر البحر الكاريبي.
١٧) بقية الحديث عن إفريقية.
١٨) أوروبا كما رأيتها.

ثالثاً: كتب مخطوطة

١٩) بقية الفيء، من حديث إفريقية.
٢٠) قصة سفر في نيجيريا.
٢١) في ربوع السودان الغربي.
٢٢) وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية، مجلدان.
٢٣) رحلات في أمريكا الجنوبية، مجلدان.
٢٤) على قمم جبال الأنديز.
٢٥) وراء العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، مجلدان.
٢٦) وراء المشرقين، رحلة حول العالم وحديث في شئون المسلمين.
٢٧) إلى بلاد الهند والسند.
٢٨) في أندونيسيا أكبر بلاد المسلمين.
٢٩) الرحلات اليابانية، مجلدان.
٣٠) مشاهدات في تايلند.
٣١) رحلات في بلاد اللاو.
٣٢) نظرة إلى الفلبين بين [illegible] رحلة و[illegible].
٣٣) الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
٣٤) رحلات في القارة الأوروبية.
٣٥) ذكريات من أركان العالم.
٣٦) الحل والرحلة في بلاد البرازيل.
٣٧) مداخل الجوار الصيني.
٣٨) في مهد [illegible].
٣٩) رحلات في [illegible].
٤٠) [illegible] عن بلاد البنغال.

المطابع الأهلية للأوفست
الرياض ١١٤٦١ - ص.ب ٢٩٥٧ تلفون ٤٠٢٧٥٤٦